جامعة الدكتور يحي فارس_المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

أحوال المجتمع المصري من خلال كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمّة لتقي الدين المقريزي

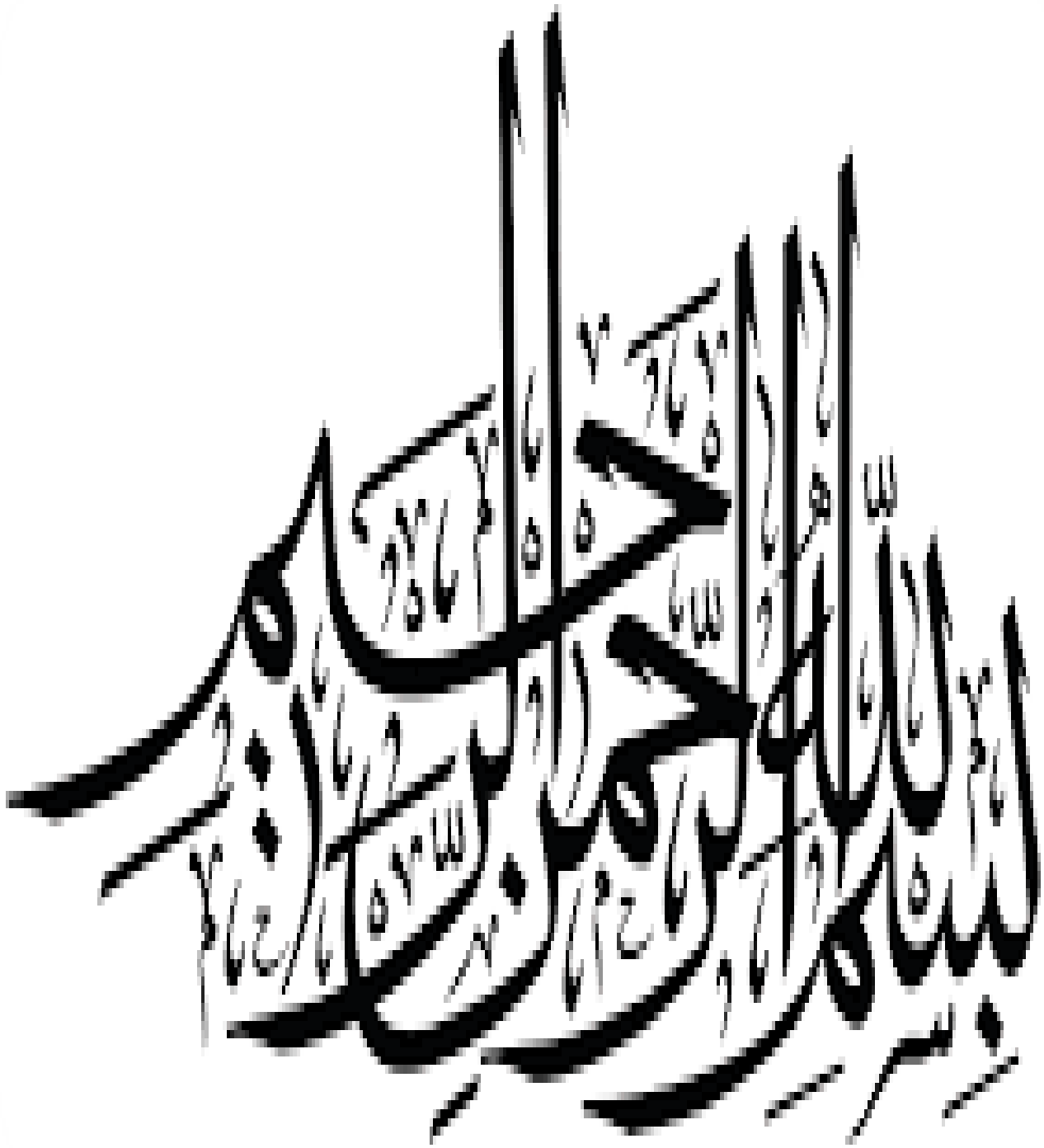
مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الدولة العثمانية (1453- 1924م).

إعداد الطالبتين:
- فتيحة قبي
- فهيمة سلامة

إشراف الأستاذة:
- لطيفة حمصي

السنة الجامعية:

1439- 1440هـ/2018- 2019م.



شكر و تقدير

قال الله عز وجل: "وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازدنكم.."سورة إبراهيم- الآية 07.

نتوجه بأول الشكر إلى المولى عز وجل ،الذي أنار دربنا ومهد لنا السبل وهدا لما فيه هدى والخير العميم ،وفتح لنا الأذهان والعقول ومكننا بفضله من القيام بهذا الانجاز.

والى منارة العلم الإمام المصطفى إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ،ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه أفضل الصلاة وازكي التسليم.

يسرنا أن نتقدم بالشكر الكبير إلى أستاذتنا الفاضلة الرائعة حمصي لطيفة ،على ما بذلته في سبيل انجازنا لهذا العمل،بتوجيهاتها السديدة وأرائها الوجيهة .

فلها منا كل التقدير والعرفان والامتنان والشكر.

كما نتوجه بخالص الشكر والتقدير ى كل أساتذة كلية العلوم الإنسانية بجامعة الدكتور يحي فارس المدية.

والى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في انجاز هذه المذكرة.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله ما انتهى درب ولا ختم جهد ولا تم سعي إلا بفضله ،الحمد لله على تحقيق شطر من أحلامي ، كنت أعرف منذ وقت طويل أني سأنجح في بلوغ الهدف ليس تنبأ بالغيب بل نصرة الله عز وجل تجلت لتنير دربي وصلت بفضل منه أولا ثم بفضل مجموعة من الأشخاص إلى هذا اليوم الذي اهديهم وأكرمهم فيه بهذا العمل المتواضع .

اهدي تخرجي إلى:الطاهرة الساجدة العابدة لله ،الشجرة الباسقة في وجه أعاصير الحياة التي ترنو بأغصانها إلى السماء متضرعة بالدعاء لي،التي صنعت مني امرأة قادرة على مواجهة الحياة **"أمي الغالية"**حفظها الله ورعاها برعايته، إلى "**روحي أبي الطاهرة**"الذي علمني الصعود وعيناه تراقبني وساعدني بكل مراحل حياتي نم قرير العين فابنتك قد ترقت وتخرجت وحقق حلمك.

إلى القلوب التي كانت ترتقب عودتي بصبر ،لمن شاركوني الهموم وعبأ الدراسة وشجعوني وفرحوا لنجاحاتي وكافئوني بفخرهم :يتقدمهم **أحمد** الذي أتمنى أن أرد له ولو القليل من فضله ،وابنة أختي وصديقة دربي **نجية** التي كانت السند لي في ضعفي وحزني وفرحي.،إلى كمال ومراد وأخواتي البنات كل باسمها مع أزواجهن وأولادهن أخص بذكرى **فتيحة وحنان** حفظهن الله ورعاهن ،والى زوجات إخوتي وأولادهم اخص بذكري **وليد وسارة** .

إلى صديقاتي كل باسمها :زهية ،ماية ،رزيقة ،هاجر،نسرين ،منال ،نورة ،نعيمة ،أمال ،سمية،فريدة ،خديجة،أمينة ،مليكة ،شهرة،أمينة.

إلى من سعته محبتي وقلبي ولم تسعه ورقتي.



الحمد لله

نحمده حمدا يعذب ينبوعا وينبت بمزيد الشكر زروعا ونشهد أن لا اله إلا الله شهادة تتفرع فروعا ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى أله وصحبه صلاة تعم درع الفجر بشفقها المخلق صدوعا .

إلى من قال عنهما الله (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا معروفا)صدق الله العظيم ،إهداء لمن زرعا في قلبي معنى الحب معنى الحياة لمن رسما طريقي في هذه الحياة إليكما يا سبب وجودي بعد الله في هذه الدنيا أمي بختة وأبي محمد ،إلى من علموني حلاوة الصبر حلاوة النجاح ، إلى من رسموا على شفتي كل أنواع البسمات إلى سندي في هذه الحياة أخوتي حفظهم الله إلى بومدين ، مراد ، نوال ، فيروز ،وخاصة لأخي وتوأم روحي كريموا رفيق الدرب لك كل الشكر و العرفان على تعبك ، الى جدتي عائشة أطال الله في عمرها ،إلى من اغرقوا عيني بدموع الضحك ملايين المرات صديقات العمر عامة وبنات الجامعة خاصة ، وفي بدايتهم صديقاتي من الإقامة الجامعية .



﴾___قائمة المختصرات___﴿:

المختصر	معناه
ج	الجزء
مج	المجلد
د،ط	دون طبعة
د،د،ن	دون دار نشر
د، ش	دار الشروق
د،ب،ن	دون بلد النشر
د،ت	دون تاريخ
ع	العدد
تح	تحقيق
تع	تعليق
تر	ترجمة
(...)	كلام محذوف

المقـــدمة

عرفت مصر على امتداد تاريخها تطورات هامة في مختلف المجالات، فقد كانت نهاية القرن 8هـ/ 14م، وحتى مطلع القرن 9هـ/ 15م فترة شهدت العديد من الأوضاع الاقتصادية المزرية التي كان لها الأثر الواضح على واقع المجتمع المصري في العصر المملوكي.

إنّ دراسة هذه الأوضاع في مصر خلال هذه الفترة، وبالاعتماد على كتاب **إغاثة الأمة بكشف الغمة** موضوع أشغل صاحبه بتحديد ودراسة أهم الأزمات التي ضربت مصر في هذه الفترة الزمنية محل البحث، حيث تمثلت في الكوارث الطبيعية التي أدّت إلى التدهور الاقتصادي والاجتماعي على حدّ سواء، فكان المؤرخون قديما يقومون برصد هذه الأزمات وتقديم تفسيرات لها، إذ ينسبونها إلى غضب الآلهة بسبب خطاياهم، وكان بذلك أسلوبا نمطيا خلال تلك الحقبة الزمنية في معالجة هذه الأزمات. إذ لا يخرج عن هذا المفهوم في الغالب ،حيث تركز باتخاذ إجراءات صارمة لمواجهة كل خروج عن النواهي والمحرمات الإلهية، غير أنّ المقريزي حلّل هذه الأزمات بأسلوب آخر قصد الوصول إلى أسبابها الحقيقية، وتقديم الحلول لها من خلال دراسة الواقع المعاش ،أو بعبارة أخرى المستوى المعيشي مقارنة بمستويات الدخل المنخفضة لدى القاعدة الكبيرة من أفراد المجتمع، التي كانت تشهد في هذه الفترة انتشار الفقر بشكل كبير بالإضافة إلى تفشي الأوبئة والأمراض التي لا تنفك أنّ تصيبه من وقت إلى آخر .

➢- أسباب اختيار الموضوع:

تمّ اختيار البحث في إطار دراسة المجتمعات وتفاعل أفرادها بصفة عامة، حيث انفردت دراستنا بموضوع المجتمع المصري من خلال كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمّة خاصّة، لعدّة اعتبارات نوجزها فيما يلي:

1- أسباب علمية: راجعة إلى تدعيم البحث العلمي في التاريخ الاقتصادي وانعكاساته على الحيز الاجتماعي من خلال تأثير الأول على الثاني .

- أهمية الجانب الاقتصادي في فكر المقريزي ، وتأثيره في بروز منهج تاريخي جديد قائم على أدوات علمية من منظور اقتصادي ومدى علاقته بالمجتمع.

- استقراء وتحليل أفكار المقريزي الواردة في الكتاب محلّ الدراسة، ومقارنتها بمؤلفاته الأخرى التي تصب في نفس التوجه الخاصّ بالجانب الاقتصادي وأثره على المجتمع ككتاب شذور النقود، والخطط المقريزيةبالإضافة إلى تاريخ اليهود وآثارهم في مصر.

2- **أسباب ذاتية:** تمثلت في الرغبة والفضول الكبيرين قصد معرفة المنهج الذي سار عليه المقريزي باعتباره أحد أهم رواد الدراسات التاريخية الاقتصادية،

- أغلب الدراسات التي تناولت العصر المملوكي اهتمت بالجوانب السياسية والعسكرية، لكن قلة منها من اعتنت بدراسة العلاقة القائمة بين الأوضاع الاجتماعية وتأثير المجال الاقتصادي عليها.

- اختمار الفكرة لدينا أثناء المرحلة الأولى من سنوات الماستر بتعرفنا على دور هذه الشخصية الفاعلة في ايجاد مناهج جديدة خضعت لظروف البيئة التي عاشتها، وذلك أثناء دراستنا لمقياس النصوص التاريخية.

➢- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في كونه يلج إلى حقبة مهمة من تاريخ مصر بالتطرق لأهم الأسس التي بني عليها المجتمع المصري في إطار النمط الطبقي الذي وجد خلال العصر المملوكي.

إبراز أهمية الأفكار الاقتصادية والاجتماعية التي تطرق إليها المقريزي من خلال كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة، وذلك بالتركيز على بعض المشاكل الاقتصادية خاصة الغلاء والعملة.

التطرق لأهم الأسباب التي تكبدها أفراد المجتمع المصري، و إيجاد حلول لها مع إبراز المعاناة التي كانت تعيشها مختلف فئاته، وبالأخصّ الفلاحين الذين مثلوا الطبقة الكادحة.

➢- إشكالية الدراسة:

يعالج هذا الموضوع العلاقة القائمة بين الواقع الاقتصادي بمصر زمن المماليك، وانعكاسه على المجتمع من خلال تلك الدراسة التي تقدم بها المقريزي في كتابه إغاثة الأمة، حيث تتمحور الإشكالية في كيفية استفادة المقريزي من مناصبه السابقة ومواضعه المختلفة لتقديم صورة حية لمصر في تلك الحقبة

وللإجابة على ذلك حدّدت مجموعة من الأسئلة جاءت على النحو التالي:

1-ما هو الجديد الذي قدمه اقتصاديا ؟

2- كيف انعكست الظروف على الواقع الاقتصادي ؟

3-ما هي الفئات الاجتماعية التي تكون منها المجتمع آنذاك ؟

4-ما المنهج المعتمد في الدراسات الاقتصادية للمقريزي؟ وكيف أسقطها على الواقع الاجتماعي؟.

➢- الدراسات السابقة:

منذ الانطلاق في هذا البحث، وجمع مادته العلمية تم الاطلاع على مجموعة معتبرة من الدراسات التي اعتنت بالجانب الاقتصادي والاجتماعي على حد سواء منها:

أ-البحوث الأكاديمية:

1-الفكر الاقتصادي عند ابن خلدون والمقريزي ،بويلي سكينة ،أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية ،تخصص اقتصاد إسلامي،جامعة الحاج الخضر باتنة1435،1 هـ-1436هـ/2014م-2015م.،تناولت فيه الأفكار الاقتصادية لكل من ابن خلدون وتلميذه المقريزي وإسقاطها على الواقع الاجتماعي.

2-الآراء الاقتصادية للمقريزي (دراسة مقارنة)،أحمد صالح الغامدي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،قسم الدراسات العليا الشرعية، شعبة الاقتصاد الإسلامي ،جامعة أم القرى مكة،1413هـ/1992م، تناول فيه الآراء التي عالجها المقريزي واستفدنا منه في النقود وكذا منهجه بالإضافة إلى النقد والتقييم الذي تطرق له كتاب إغاثة الأمة

3-مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنيين السابع والثامن هجريين،13م/14م، أماني بنت سعيد الحربي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير،كلية الشريعة للدراسات الإسلامية ،قسم الدراسات العليا التاريخية ،جامعة أم القرى،1436 هـ/2015م.تناولت فيه الحياة الاجتماعية في مصر من منظور الرحالة في هذين القرنين.

ب:المقـالات:

1- استقراء الأفكار النقدية عند المقريزي ،سعيد أسامة، دراسة تحليلية لكتاب النقود الإسلامية المسمي شذوذ العقود في ذكر النقود، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات التعليمية، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية ،مج37،العدد2،2015.

➢- المنهـج المتبع:

إن طبيعة الموضوع اقتضت أن يكون المنهج المتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي من خلال إعطاء لمحة عن حالة المجتمع المصري آنذاك، كما اعتمدنا على المنهج التحليلي والمنهج الإحصائي، فكان الأول من خلال تحليل الأوضاع، والأزمات التي كانت تعاني منها مصر، ومدى تأثيرها على الوضع الاجتماعي، أما الثاني فكان من خلال إحصاء النتائج التي ترتبت عن الوضع الاقتصادي المتردي وحصيلة الوفيات.

➢- الخطـة المعتمدة في الدراسة:

قمنا بتقسيم البحث إلى مقدمة ومدخل تمهيدي، ومبحثين، ثم اعقبناه بخاتمة جاءت في شكل استنتاجات.

وقد تناولنا في المدخل التعريف للكاتب والكتاب ،مع لمحة عامة عن العصر المملوكي مع التركيز على الجانب السياسي، وذكر لأهم الأزمات في ذلك العصر، أما فيما يخص المبحث الأول الذي عنوناه بالأوضاع الاقتصادية المملوكية وقسمناه إلى أربع مطالب تنالونا فيها واقع الزراعة والصناعة والتجارة واهم الظروف التي أدت إلى تدهورها وكيف انعكست هذه الأوضاع عليها خاصة من جانب العملة، أما المبحث الثاني أدر جناه تحت عنوان الواضع الاجتماعي والانعكاس الاقتصادي عليه وقسمناه بدوره لأربع مطالب تناولنا فيها أهم الطبقات التي تكون منها المجتمع وهذا بحسب ما جاء به المقريزي، هذا دون إهمال للأسرة ومكانة المرأة فيها، مع ذكر أهم الاحتفالات التي كانت تعيشها مصر سواء دينية كانت او عامة وآخر مطلب كان في هذا الجزء

تطرقنا فيه لأهم الانعكاسات التي تأثر بها هذا الجانب، وفي ختام موضوعنا حاولنا الإلمام بأهم الاستنتاجات المتعلقة ببحثنا .

المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة خدمت الموضوع بصورة مباشرة وغير مباشرة منها :

1-كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزي،وهو من أشهر المصادر التي إفادتنا في بحثنا في مختلف مراحله يتحدث عن القاهرة وخططها (طوبوغرافيتها) القديمة، بحيث لم يهمل أي تفصيل عن القاهرة بجزئيه .

2-شذوذ العقود في ذكر النقود ،هذا الكتاب يرجع كذلك للمقريزي وهو رسالة نفيسة في تاريخ النقود العربية ،وهذا الكتاب كان في أصله جزء من كتاب إغاثة الأمة وبعدها افرده بكتاب مستقل وعنوان خاص بعد أن توسع فيه ،ذكر فيه تاريخ النقود الإسلامية منذ العصر الجاهلي وأعطي القيم المتغيرة في العصر المملوكي والأزمات المالية التي عانت منها العملة .

أما بالنسبة للمراجع أهم كتاب قاسم عبده قاسم ،النيل والمجتمع المصري في عصر السلاطين المماليك ،بحيث تناول فيهما صورا من حياة المجتمع المصري في فترة حية ومثيرة من التاريخ المصري الطويل ،وهي حقبة السلاطين المماليك ،بحيث تنقل الكاتب مابين السوق ومظاهر الحياة اليومية والاحتفالات الدينية والقومية الاجتماعية ،هذا دون أن يهمل أهم جانب عاشته مصر في تلك الحقبة ألا وهي الأزمات الاقتصادية ،والكوارث الطبيعية وانعكاساتها على الحياة في تلك الفترة.

➢-الصعـوبات:

لا يخلو أي بحث من البحوث العلمية في مواجهة صعوبات، وعراقيل تحول دون الوصول إلى الأهداف الموجودة والمرجوة من هذا البحث، فكانت جملتها :

صعوبة قراءة المصادر لقدمها وعدم وضوح الخط، وكذا الصعوبة في أفكارها ،هذا بالإضافة إلى إلمامها بالجوانب السياسية والعسكرية أكثر من إلمامها بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية .

صعوبة الوصول إلى المراجع التي تتناول وبإسهاب هذا الموضوع خاصة الجانب الاجتماعي ،وهذا لعدم توفرها ورقيا ،وطرحها للبيع عبر سوق الانترنيت، ورغم ذلك استطعنا بالسعي والتخطيط رفقة الأستاذة المشرفة ودعمها المستمر تجاوزنا ولو قليلا هذه العراقيل وأنجزنا هذا العمل الذي نأمل أن يكون في المستوى المنشود.

➢- فصـــل تمهيـــدي.

1–تعريف الكاتب: الإمام تقي الدين ابن العباس المقريزي.

2– تعريف الكتاب:إغاثة الأمة بكشف الغمة.

3– لمحة عن عصر المماليك.

– تعريف الكاتـب.

1– تقي الدين المقريزي:

طبيعة العمل الذي نقوم به تقتضي وضع ترجمة للكاتب، وهو احمد ابن علي ابن عبد القادر ابن محمد ابن إبراهيم ابن تميم ابن عبد الصمد، عمدة المؤرخين المعروف بتقي الدين المقريزي[1].

ولد المقريزي سنة 766هـ/1364م في القاهرة. ينحدر من أسرة بعلبكية الأصل، وقد هاجر والده إلى مصر، الأمر الذي جعل جده لأمه يحتضنه فنشىء ببيت جده الذي كفله بالرعاية وتعليمه[2]، وعرف المقريزي نسبة إلى حارة المقارزة وهي من حارات بعلبك[3]

2–تعليمـه:

أكثر الإمام المقريزي من الشيوخ الذين سمع منهم واخذ عنهم حفظ القران والحديث وجمعه وتدوينه وغيرها من العلوم كالنحو والفقه والتفسير، وقد بلغ عدد شيوخه سواء في القاهرة أوغيرها من البلدان التي رحل إليها طلبا للعلم ستمائة شيخ، وكان أكثر شيوخه تأثيرا فيه أولهم ابن الصايغ في مرحلة النشأة وأخرهم العلامة ابن خلدون الذي عرفه في مرحلة النضج[3]، كما كان من بينهم الشيخ برهان الدين إبراهيم بن احمد ابن عبد الواحد الشامي ،وناصر الدين محمد ابن علي الحراوي

---

[1]–يوسف بن ثغري بردي الاتباكي جمال الدين أبو المحاسن ،المنهل الصافي والمستوفي في بعد الوافي،تقديم دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984،ص415.

2– –نقولا زيادة،قمم من الفكر العربي الإسلامي ،الأهلية للنشر والتوزيع،بيروت ،1987،ص172.

3– عبد السلام الشرماني، أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين 751– 1000هـ/ &350– 1591م، ج4، ط1، دن، 1417هـ/ 1997م، ص374.

4–تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي،إغاثة الأمة بكشف الغمة،تحقيق الدكتور حلمي فرحات،الطبعة الاولي . ،1427–2007،عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ص12

5–بن ثغري بردي ،نفسه ،ص.419

6–نيقولا ،نفسه،ص173.

الشيخ برهان الآمدي ،وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني والحافظ زين الدين العراقي وكذا بهاء الدين ابن البقاء وغيرهم[1]

3-وظائـفـه: التحق المقريزي بخدمة السلطان في شبابه ،وظل ينتقل في وظائف الدولة المختلفة قرابة ثلث قرن قبل ان ينصرف عنها نهائيا وينقطع إلى الكتابة والتأليف، وفي التاريخ بنوع خاص،أما الوظائف التي تولاها فهي التوقيع أي الكتابة في ديوان الإنشاء بالقلعة القاهرية والقضاء وإمامة جامع الحاكم وتدريس الحديث بالقاهرة، بالإضافة إلى تقلده محتسبيه القاهرة.

جميع هذه الوظائف كانت بمصر، وفي سنة 808هـ/1408م ولي النظر على الأوقاف وعلى المستشفى النوري بدمشق والتدريس في مدارس الحديث بها، وبعد عشرة سنوات عاد المقريزي إلى القاهرة ليتفرغ على الـدرس والاشتغال بالعلم تاركا جميع الوظائف التي أسندت إليه[2]

- منهجــه التاريخي:

أما بالنسبة للمنهج التاريخي الذي تميز به، علمًا انه عاصر واخذاً من أهم شيوخ تاريخ تلك الفترة وهو عبد الرحمن ابن خلدون، فان منهجه كان نتاجا لتأثره بتلك الشخصية وعصرها.

- التأليف التأريخي في عصره:

كانت بغداد طيلة خمسة قرون عاصمة الخلافة الإسلامية تربط الشرق الإسلامي بالحوض الشرقي للبحر المتوسط والبحر الأحمر ثقافيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا، وبسقوطها على يد المغول تغير المركز من بغداد إلى دمشق والقاهرة، حيث ارتباطا بنظام سياسي دام ثلاث قرون، منذ 656هـ/ 1258م حكم المماليك فيها مصر،وبعد انتصارهم على المغول ورثوا السلطنة الأيوبية في معركة عين جالوت 658هـ/ 1260م فجمعوا بين حلب والجيزة حتى القاهرة، ثم الحجاز، وتقاسمت دمشق والقاهرة مركز بغداد السابق، وتوزعت بذلك هجرة العلماء إليها فعرف القرنيين 8هـ و9هـ / 14م و15م عصرا جديدا للنهضة اعتبر عصر النهضة الإسلامية الثانية بعد القمّة التي حققتها في القرنيين 3هـ و4هـ./9م و10م.

[1]-بن ثغري بردي ،المصدر السابق،ص416.

[2]-زيادة، المرجع السابق، ص173.

حفل هذا العصر بالموسوعات الأدبية والجغرافية و الديوانية والتاريخية و موسوعات سير الرجال بعد نكبة بغداد كان هناك خوف على الإسلام وثقافته وتراثه ،حيث فاز التاريخ بالنصيبين وأصبحت مصر في عصر علمي واسع (أدبي وعلمي ،ديني ،الفنون ،والصناعات اليدوية...إلخ)، وقد ساعد هذا النشاط على توفر المال والبيئة الملائمة، إذ اعتبر الدعامة الأساسية لبناء الحضارة، وساعد ذلك على حمل عدد من العلماء المسلمين من كل مكان إلى القاهرة، حيث فرض التدريس في مدارسها فأكثر السلاطين من إنشاء المدارس التي جعلوها أداة ووسيلة حتى يبقى الحكم في أيديهم.

حظي علم التاريخ بمكانة مرموقة خلال هذه الفترة ذلك أن عصر المماليك كان حافلا بالحوادث الداخلية والخارجية ، وكان بحاجة إلى تسجيل لخاصة الناضرات وتدوين الإصلاحات.

هذه الدراسة كونت جزءا من ثقافة المماليك المصريين، حيث مثل القرن 9هـ/ 15م ذروة الازدهار بالنسبة للكتابة التاريخية، وقد بلغت فلسفة التاريخ ذروتها في هذا العصر، حيث وبرز العالم الجليل ابن خلدون،وتلميذه المقريزي، وقد صحب فلسفة التاريخ النقد التاريخي في صورة جديدة خلال العهد المملوكي، وظهر موظفو الدواوين من خلال التأريخ لسير الحكام والسلاطين وتعليم ناشئه ، كما أشهر ديوان صناعة الكتابة وأدواتها الثقافية التي شكل التاريخ جانبا مهما فيها، في حين نجد علماء الدين الذين إهتموا بعلم التراجم وعلم سير الرجال، كما أولى المؤرخون المصريون اهتماما واضحا بتاريخ مصر لينطلقوا إلي بلاد الإسلامية في تأريخهم، فكان اهتمامهم بالتعليم السياسي، التعليم الديواني والتعليم العسكري ،فضلا عن تأريخهم لأهل الذمة ،ألجواري ،الغلمان والمتصوفة.

– المقريزي وكتابة التاريخ:

أقام منهجه علي مجموعة من الأسس جاء على النحو التالي:

أ–الأمانة العلمية: تتمثل في المحافظة علي الرواية كما هي والدقة في تسجيل ما يشاهده، وتعتبر مصدرا .

ب–التجرد من الأهواء: كان أكثر اعتدالا ودقة، بعيدا عن الاستجابة للأهواء والميول ،كما كان متحكما في قلمه محترما للصغير والكبير ،لا يتخذ التاريخ أداة لتجريح الناس.

ج–عدم التعصب أو التحيز لفكرة: كان بعيدا عن الخوض في أعراض الناس، يدعو إلى أن يكون كتابه مقبولا لدي الجميع .

د–التدقيق وحب الاستقصاء والرغبة في معرفة أسباب الظواهر وعلل الأحداث: كان المقريزي يحرص علي أن يقف أمام الرواية التاريخية ليناقشها ويمحصها مقارنا إياها بغيرها وقدرته علي العرض والتحليل والتعليل.

و**–عدم الإسراف في الاستطراد:** أي الانتقال من موضوع إلي موضوع ثاني ثم ثالث لأتفه الأسباب، في حين المنهج يتطلب من الباحث التركيز في موضوع معين، ونلمس استقامة المنهج الإمام المقريزي وعزوفه عن الاستقراء في جميع مؤلفاته الكبيرة والصغيرة، ألزم الاعتدال والتمسك بالطريق الوسط.

د–العناية بطبقات الشعب وفئاته: لم يكن يكتب للخاصة وحدهم وإنما كان يكتب للعامة ،فقد قسم المجتمع المصري في العصر المملوكي ولم يهمل العامة.

هـ–الابتعاد عن مداهنة الحكام: لم يكن يصغر أمام السلاطين الذين عاصرهم وعرضوا عليه الوظائف والمناصب، لم يسمح لنفسه أن يكون عبدا للسلطان وأسيرا للوظيفة الأمر الذي جعله حرفيا بكتب.

إنّ أهم ما امتاز به منهجه عنايته بالظواهر الاجتماعية والاقتصادية، من خلال حاسته تاريخية التي مكنته من ربط الأسباب بالنتائج، ومن تفسير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتطورات السياسية والإدارية.[1]

[1]– المقريزي ،المصدر السابق، ،ص.ص43– 53.

4- أهــم مؤلفاتــه:

كان إماما مفننا، كتب الكثير بخطه، وانتقى أشياء وحصّل الفوائد واشتهر ذكره في حياته وبعد موته في التاريخ وغيره حتى صار يضرب به المثل، وكانت له محاسن شتي ومحاضر جيدة للغاية لاسيما في ذكر السلف من العلماء والملوك وغير ذلك، كما عرف بكثرة الكتابة والتصنيف، حيث صنف كتبا كثيرة منها: إمتاع الإسماع في ما للنبي صلي الله عليه وسلم من الحفدة والمتاع في ست مجلدات، وله كتاب الخبر عن البشر,ذكر فيه القبائل لأجل نسب النبي صلي الله عليه وسلم في أربعة مجلدات، وكتاب السلوك في معرفة دول الملوك في عدة مجلدات، وكتاب الاعتبار بذكر الأخبار المعروف بالخطط المقريزية، إضافة إلي شذوذ العقود وكتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة الذي هو محور دراستنا، وغيرها من الكتب والمؤلفات ولم يزل ضابطا حافظا للوقائع والتاريخ إلي أن توفي يوم الخميس سادس عشر من رمضان في مصر سنة845هـ/1442م، ودفن خارج باب النصر من القاهرة.[1]

- التعريف بالكتــاب :إغــاثة الأمة بكشــف الغمة:

الكتاب لتقي الدين آبي العباس ابن علي المقريزي المتوفى سنة 845هـ/ 1442م ،قام بدراسته وتحقيقه الدكتور كرم حلمي فرحات، وضعه في كتاب متوسط الحجم مكوّن من211 صفحة ذو واجهة صفراء اللون،وكانت الطبعة الأولي لهذا الكتاب سنة 1427هـ/2007م، والذي قام الدكتور قاسم عبده قاسم بالإشراف عليه وطبع ونشر من قبل عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

أما بالنسبة للكتاب فهو في الأصل عبارة عن مخطوط قام الدكتور كرم حلمي فرحات بتحقيقه وإعادة كتابته بالاعتماد علي ثلاثة نسخ لهذا المخطوط من مؤلفات الأمام المقريزي، النسخة الأولى هي نسخة مكتبة ولي الدين بجامع بايزيد باسطنبول تحت رقم 3195، وقد كتبها في سنة 1101هـ/ 1690م، والتي جعل منها المحقق النسخة الأم-الأصلية- للنشر والتحقيق وذلك لحسن خطها ووضوحه ،أما النسخة الثانية فهي نسخة دار الكتب المصرية برقم 77مجاميع

2-ثغري بردي، المصدر السابق، ص ص 419-420

ومن حيث تاريخ كتابتها فهو غير مذكور، ولم يعلم متى كتبت أو نسخت وخطها غير واضح رديئة الكتابة غامضة القراءة أحيانا، أما فيما يخص النسخة الثالثة فهي نسخة مكتبة جامعة كامبرج بانجلترا تحت رقم 2746 وقد كتبت في سنة 1112هـ/ 1700م، وهي من حيث القيمة والدرجة اقل من سابقتيها.

-المخطـوط الأول: والذي اعتمد عليه المحقق فقد جاء في 23صفحة من المقدمة إلى الخاتمة، وعدد سطور الصفحة الواحدة 21سطر وكل سطر يحتوي علي 10-12 كلمة،وقد جاء في الصفحة الأولي صفحة العنوان المكتوب ختم مكتوب به وقف شيخ الإسلام ولي الدين أفندي بن المرحوم الحاج مصطفي أغا ابن المرحوم الحاج حسين أغا، وجاء بالصفحة الأخيرة من هذه النسخة ووافق الفراغ بين سويدها في اليوم التاسع عاشر من شعبان المكرم سنة 1101هـ/ 1690م علي يد أفقر العباد محمد النهير بالقطري إمام جامع الوزير وخطيبه ببنر جدة المحروس.

أما بالنسبة لمحتوي الكتاب الداخلي :فقد بحث المقريزي من خلاله عن الأزمات الاقتصادية حيث تتبع هذه الأزمات تاريخا ،واصفا لها وباحثا عن أسبابها ومقترحا حلولا اقتصادية ونقدية للتخفيف من أثارها السلبية على الدولة والمجتمع، وارجع المقريزي حدوث الأزمة في مصر وأهلها إلى ثلاثة عوامل هي:أول علة انتشار الرشوة في ولاية الخطط السلطانية والمناصب العامة ،أما العلة الثانية غلاء الأراضي خاصة وانه عاصرها سنة 806هـ/1404م، والعلة الأخيرة ترجع لرواج الفلوس والتي يعني بها العملة النحاسية الصغيرة التي كثر استخدامها وقد تعرفنا على هذه المعلومات ومعلومات أخري من خلال الطرح الذي قدمه الكاتب والمحقق للكتاب وهذا ابتدءا بالمقدمة التي تناول فيها الأسباب والدوافع التي أدت ألي تحقيق هذا المخطوط ،وقام بتقسيمه إلي قسمين تناول في القسم الأول ثماني مباحث خصها للتعريف بالمقريزي في المبحث الأول تحدث عن نشأة المقريزي واشتغاله بالعلم دون إهمال لاسمه وكنيته ومذهبه الفقهي وشيوخه ورحلاته العلمية زواجه واشتغاله بالعلم أما عن الوظائف التي تولاها والمكانة التي حضي بها عند السلطان فقد تطرق إليها في المبحث الثاني ،أما عن المبحث الثالث والرابع فقد خصها لتقسيم مؤلفات المقريزي وتسمية الكتاب وأهميته بالإضافة إلى صحة نسبه لمؤلفنا والدواعي التي أدت به إلى تأليف

والنسق التعبيري للكاتب، والمبحث الخامس فنجد فيه مصادر الكتاب وطرق الإسناد إليها ،أما المبحث السادس فقد عنونه تحت منهج التأليف التاريخي عند المقريزي وتطرق من خلاله إلى التأليف التاريخي عند المقريزي وكذا كتابة التاريخ والموسوعية والتخصصية عند المقريزي وتحليل الظواهر الاقتصادية والربط بينهما، والمبحث السابع تعرفنا من خلاله النقد التاريخي عند المقريزي وتناول فيه ستة عناصر مختلفة من وصف للحوادث والكشف عنها وغيرها أما المبحث الثامن فوصف فيه المخطوط وكيفية العمل في التحقيق وبعض من نماذج المخطوط .

أما القسم الثاني من الكتاب: والذي عنونه تحقيق كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة لتقي الدين احمد بن علي المقريزي والذي يحتوي مقدمة المؤلف بالإضافة إلى مقدمة حكمية يتصل على قاعدة كلية وقسمه إلى سبع فصول عنون الفصل الأول في إيراد ما حل بمصر من الغلوات وحكايات يسيرة من أبناء تلك السنوات ،والفصل الثاني بين فيه أسباب التي نشأت عنها هذه المحن والتي أرجعها إلى ثلاثة أسباب كما سبق ذكره، أما فيما يخص الفصل الثالث فقد عنونه أن معاملة مصر مازالت بالذهب فقط والفصل الرابع جاء فيه أقسام الناس وأصنافهم وبيان جمل من أحوال أوصافهم وقسمها إلي خمسة أقسام ،وأورد في الفصل السادس الحلول لهذا الداء وعنون الفصل السابع في بيان محاسن هذا التدبير العائد نفعه إلى الجم الغفير بالإضافة إلي الفهارس العامة لما احتواه الكتاب من مواضيع وأحاديث شريفة والأعلام والمكاييل وغيرها.[1]

[1]-المقريزي، المصدر السابق، ص ص 69-73.

لمحـــة عن عصـــر المماليك:

نظام المماليك[1] وان ظهر بشكل واضح على يد سلاطين الأيوبيين، إلا أن أصله يرجع إلى ما قبلهم ويتصل اتصالا وثيقا بنظام حياة القصر الإسلامي منذ أيام الأمويين وان كان معظمهم من السبي، ولكن توسع العباسيون فيه من بعدهم وبذلت الأموال لشرائهم، فقد كان الخليفة المأمون العباسي يشتريهم من وسط أسيا ليجعلهم حراسه الأمناء وقد اقتدى به ابنه المعتصم بعده فاستخدمهم في جيشه وفي حكم الولايات.

ولعل الذي ساعد علي الإكثار من المماليك في عصر الأيوبيين بالذات التحركات المفاجئة لعناصر أسيوية هم المغول مما جعل هذا النظام يتسع اتساعا كبيرا بسبب ما سببه المغول من دمار وأمام ازدياد هجمات زعيم المغول وسط آسيا كان الأسيويون يهربون أمامه ورغبة في الحصول على ما يمسك رمقهم كانوا يبيعون ذكور أولادهم وافائهم بسبب قسوة بيئتهم، بالإضافة إلى ذلك أن المغول كانوا يستولون على أسرى كثيرين منهم ويبيعونهم كرقيق في الأسواق، كل هذا اوجد سوقا هاما لتجارة المماليك في مصر في أيام الأيوبيين بحيث أن هؤلاء التجار زادت أعمالهم ووجد تجار المماليك في مشاحنات ملوك الأيوبيين وسيلة لزيادة دخلهم مع المماليك، لاسيما وان سلطان مصر الأيوبي وأمرائه إذا كان صغيرا أعطي للحريم لتربيته فان كان شابا يعلم ويعيش في القصر مع السلطان كما أنهم كانوا يبقون على رجولتهم ليكونوا جنودا أقوياء ،وكانت تربيتهم تتم تحت إشراف السلطان الأيوبي، مما جعلهم يتميزون بالأخلاق العالية، والمظهر الطيب ما كان يهيئهم لأعلى المناصب في الدولة .[2]

أصبح المماليك عبيد الأمس ملوك الدولة، يجني لهم ثمرات كل شيء ،فتولى مصر اثنان وعشرون سلطانا منهم من الرق في الدولة المملوكية البحرية، وقد تولت شجرة الدر بوصفها زوج الملك الصالح نجم

1- المماليك: في أصلها اللغوي مستخرجة من فعل ملك لتعني الرقيق الذي يشتري بقصد تربيته والاستعانة به كنجد وحكام ،علي عكس لفظ العبد مفرد عبد مؤنثها جارية التي استعملت في العصر الإسلامي الأول ،وذلك لان الإسلام بميوله الإنسانية كان يرفع من شان الرقيق بينما المملوك يولد تعني العبودية ،والعبد يولد من الرقيق بينما المملك يولد من أبوين حرين ويباع كما أن العبد قد يعني إنسانا اسود بينما المملوك كان غالبا ابيض. عبد المنعم ماجد،طومان باي آخر السلاطين المماليك في مصر ،دراسة الأسباب التي أنهت حكم دولة سلاطين المماليك في مصر،مكتبة الانجلو المصرية ،د ب ن ،1978 ص16.

2- نفسه، ،ص.ص 12-15.

الدين أيوب ،إلا أن الأمراء الأيوبيين لم يعترفوا بسلطتها ولهذا اوجد المماليك من الخير والحكمة أن تتزوج شجرة الدر[1] من احد أمرائهم، فتزوجت عز الدين أيبك[2]،على أن تترك السلطنة له ففعلت ذلك، و يعتبر الظاهر بيبرس[3] من القادة الذين أعطوا دافعا للمماليك وهذا للجهود التي قام بها من الناحية السياسية وكذا عمله على توحيد الجبهة الداخلية في المنطقة العربية فهو اثبت قدرة الفرسان عن الدفاع على ديار الإسلام وقد جعلته جهوده يحظى باحترام القوى العالمية المعاصرة على المستوى الخارجي [4].

تضافر لهذا الأخير عاملان أساسيان لإنشاء الدولة المملوكية ويصبحوا الحكام الفعليين والشرعيين للخلافة الإسلامية وكان أول عامل هو انهيارها بسقوط العاصمة بغداد في أيدي التتار،ومقتل خليفة المسلمين العباسي الأمر الذي أدى إلى انهيار سياسي وكذا عسكري لعدم وجود قوة تدافع عن زحف التتاري، أما العامل الثاني فهو انتصار المماليك في عين جالوت، الأمر الذي غير نظرة إليهم بعدما كانوا يرون فيهم أنهم مغتصبين غير شرعيين لحكم مصر، وبالرغم من ذلك فالظاهر بيبرس عندما تولى عرش السلطنة واجه جبهة داخلية التي مثلها استبداد بعض المماليك وأطماعهم، أما الجبهة الخارجية :فهم الصليبيون الذين كانوا

[1]–شجرة الدر ام خليل الصالحية:من شهيرات الملكات في الإسلام ذات إدارة وحزم وعقل ودهاء وبر وإحسان،تزوجها الملك الصالح بعد أن ملكها واستولدت له ولده خليل ،قدمت الي مصر وعظم أمرها في الدولة الصالحية ،وأثناء مرض زوجها صارت هي من تدبر الأمور،وبعد موته قتلت تورانشاه بمساعدة بعض البحرية في 8محرم 678هـ وتولت السلطنة ،أصدرت المراسيم ووقعت عليها باسم ام خليل ،تزوجت عزالدين ايبك وتنازلت له عن العرش في آخر ربيع الأخر سنة 678هـ ،لكنها قتلته يوم الثلاثاء 23ربيع الأول وعوقبت علي ذلك حبست في البرج الأحمر ووجدت مقتولة خارج القلعة يوم 11ربيع الأخر ودفنت في مشهد السيدة نفيسة.للمزيد انظر،عمر كحالد، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام،الجز الثاني ،مؤسسة الرسالة،ص،ص،287-290.

[2]–عزالدين أيبك التركماني ألصالحي: تولي العرش تحت اسم المعز تولي الحكم يوم السبت آخر شهر ربيع الاخر648هـ/1250م للمزيد انظر،،قاسم عبده قاسم ،علي السيد علي ،الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، دط ،عين الدراسات والبحوث الإنسانية،دت ،د ب ، ص129.

[3]–الظاهر بيبرس:هوالملك ركن الدين بيبرس العلائي البندق داري ألصالحي ألنجمي ،ولد في 620هـ/1221م في قيرغيرستان لقب بابي الفتوح سلطان مصر والشام ،رابع سلاطين الدولة المملوكية ومؤسسها الحقيقي ،بدا مملوكا يباع في أسواق بغداد والشام وانتهي به الامر كاحد أعظم سلاطين عصره،اوكل له سيف الدين قطز مهمة مطاردة المغول بعد الانتصار الذي حققه في معركة عين جالوت وبعد مقتل قطز لم يجد قادة المماليك خيرا منه ليولوه هذه المهمة تولي الحكم في 658هـ وعمل على إعادة الخلافة الإسلامية.للمزيد انظر سامي عبد الله المغلوث،اطلس التاريخ الإسلامي ،عصر المماليك، ط1، مكتبة العابيكان ، الرياض ،2013م ،ص،58.

[4]–قاسم، نفسه، ص147.

يتحينون الفرصة لتنفيذ مآربهم في المنطقة ،أما الخطر الثاني فهم التتار وتهديدهم المستمر للمنطقة، والخطر الثالث تطلعات الأيوبيين في الشام للعودة لحكم مصر[1].

حدد أبعاده السياسية للدولة المملوكية متخذا مسارين احدهما:عسكري والذي يعتمد على قوة الجيش لفرض الأمر الواقع وثانيها ديني شيد على قوة دينية، عناصر الخلافة العباسية في القاهرة وأهل العمامة والمنشات الدينية، لذا امتاز عصر السلاطين المماليك بالوحشية والتقوى وذلك لاشتهار أولئك المقاتلون بقسوتهم في التعامل مع خصومهم[2]، واهتمامهم بترميم الحصون وتشييد العمائر وإقامة المرارات والمقامات علي قبور الأنبياء، ومن أهم الأمور التي اهتم بها المماليك إحياء الخلافة العباسية في مصر بعد أن كانت قد سقطت على أيدي التتار، و قاموا بذلك من اجل اكتساب الشرعية لدى العالم الإسلامي ،وبذلك انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر.[3]

انقسمت فترة حكم المماليك في أسرتين الأسرة الأولي هي المماليك االبحرية[4] من 1250م-648هـ إلى 1382م 780هـ،وأسرة المماليك البرجية أو الشركسية[5] التي انتهت بفتح العثماني 1517م-923هـ.

لقد خلف بيبرس في أسرة المماليك البحرية اثنان وعشرون من سلاطينهم منهم اثنين من أبنائه ثم آل

---

[1]-الناصر الأنصاري،المجمل في تاريخ مصر ،النظم السياسية والإدارية ،اط1413،1هـ،1993م،دار الشروق ، دت ،ص،162/161

[2]- قاسم ،المرجع السابق، ص155.

[3]-خالد الصايغ،النقود الإسلامية ، د ط،أبو ظبي ،المجمع الثقافي،2000 ، ص74.

[4]-المماليك البحرية:من المرجح أن ذلك يرجع إلى اختيار الصالح نجم الدين أيوب جزيرة الروضة في بحر النيل مركز لهم.للمزيد انظر، المغلوث، المرجع السابق، ص16.

[5]-المماليك البرجية آو الشركسية:تعود تسمية البرجية إلي سكناتهم في أبراج قلعة الجبل.والشركسية يدل علي أصل البلاد التي قدموا منها وهي الكرج (جورجيا حاليا)في الكومنولث الروسيين بحر قزوين والبحر الأسود علي شاطئه الشرقي،اشتهروا بالشجاعة والفروسية إضافة إلي جمال والوسامة وتجارة الرقيق بينهم شائعة:للمزيد انظر:. الأنصاري، نفسه، ص 170.

إلى سلطان أخر لا يقل عن بيبرس[1] السلطان المنصور سيف الدين قلاوون[2] الذي استولى على الحكم .[3]ويبدأ حكم أسرة قلاوون به نفسه في سنة 678هـ/1279م وينتهي بالسلطان حاجي سنة 784هـ/1382م، ولم يحكم في هذه الفترة خارج أسرة قلاوون غير ثلاثة ، وقد استطاع السلطان قلاوون خلال فترة حكمه أن يحقق الكثير من الإصلاحات الداخلية والانتصارات الخارجية ، انتعشت في عهده مصر من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ودليل ذلك الانتعاش الذي شهدته مختلف نواحي الحياة الدينية والعلمية والعمرانية ...[4] .

شهدت دولة المماليك قيام أسرة قلاوون على الحكم هو وأولاده وأحفاده مدة تزيد على قرن من الزمان وشهدت كذلك استمرار لقب السلطنة في ذرية السلطان المنصور قلاوون والذي كان يعني القبول بمبدأ الحق الوراثي في الحكم لأبناء هذه الأسرة ،لكن ما يلاحظ على هذه الفترة تدخل الأمراء الكبار الذين يفسدون السلاطين الأطفال الأمر الذي أدى إلي انتشار الفساد السياسي والاجتماعي وكذا احتدام الصراع بين طوائف المماليك المختلفة.[5]وكان أهم ما حققه سلاطين المماليك البحرية هو الاستيلاء على أخر ما تبقي بأيدي الصليبين في الشام وإنهائهم للحروب الصليبية بعد أن استمرت نحو قرنيين قبل ينتهي أمر هذه الدولة ويستولي المماليك الشراكسة على الملك .

---

[1]- الأنصاري المرجع السابق، ص ص165 -167.

[2]-السلطان قلاوون الألفي العلائي ألصالحي ألنجمي أبو المعالي :وأبو الفتوح السلطان الملك المنصور احد المماليك البحرية ،يعود أصله إلي منطقة القبجاق الواقعة شمالي البحر الأسود اعتمد عليه بيبرس في الكثير من أعماله الحربية والسلمية ،اختار الطريق الدبلوماسي للوصول إلي السلطة وبطريقة مدروسة ،لما كان يتمتع به الذكاء وبعد نظر،تولي السلطنة في 678هـ/1279م،وصف بأنبل الصفات ،تصدي للمغول والصليبين. المغلوث،ا لمرجع السابق ،ص62 .

[3]-هاني فخري عطية الجزار ،النظام العسكري في دولة المماليك 648هـ-923هـ-1250م-1517م،رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة 1428هـ،2007م،الجامعة الإسلامية ،غزة،ص،ص،54،53.

[4]-محمد حمزة إسماعيل الحداد،السلطان المنصور قلاوون (تاريخ-أحوال مصر في عهده منشاته المعمارية)،ط2،مكتبة مديولي القاهرة 1418هـ-م1998

[5]- قاسم ، المرجع السابق، ص190.

ومرت الدولة المملوكية الأولي بأزمتين كبيرتين أولهما وباء الطاعون ،وثانيهما غارة القبارصة بقيادة بطرس الأول في سنة 767هـ /1366م، مما كان له الأثر الأكبر في زوال الدولة المملوكية بالإضافة إلى المنازعات بين أفراد المماليك .[1]

ويرجع الفضل في إنشاء وظهور الدولة المملوكية الثانية دولة المماليك البرجية (الشراكسة)للسلطان قلاوون وهذا لأنه كان محبا لشراء أعداد كبيرة من المماليك ،بحيث انتقى منهم نحو ثلاثة آلاف وسبعمائة من الجركس وأسكنهم أبراج القلعة وسماهم البرجية وكان برقوق أول سلاطين المماليك البرجية من أفراد هذه الطائفة [2]،وقد حكم المماليك الشراكسة مصر والشام والحجاز مدة تزيد على إحدى وثلاثين ومائة سنة 792هـ/1328الي 923هـ/1517م وتعاقب في هذه المدة أكثر من سبعة وعشرين سلطانا ،لم تزد مدة الحكم على خمسة عشرة عاما واقلها يوما واحدا[3] ولم يكن الملك فيهم وراثيا قط كما كان في بيت قلاوون بل كان متوقفا على شهرة السلطان الحربية ومقدرته على استجلاب مودة زملائه من الأمراء[4] .

عندما تولى برقوق[5] السلطة كانت البلاد منهكة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وبحاجة إلى سلطان قوي يلم شمل البلاد ويوحد كلمتها ويفرض رأيه على بقية الأمراء ،وهذا لأنه تفكك أمر الدولة وكان لابد من التغيير نحو الأفضل وضبط الإدارة ورعاية شؤون الناس وتحسين الاقتصاد وإنهاء المجاعات.[6]

---

[1]-خالد الصايغ،النقود الإسلامية ،دط ،المجمع الثقافي ،أبو ظبي،2002،ص74.

[2]- حمزة ، المرجع السابق، ص9.

[3]-محمود شاكر،التاريخ الإسلامي-العهد المملوكي،ط5،د ب ن ،1421هـ،2000 م،ص،71.

[4]-عمر الاسكندري،المجيرا.ج.سقدج،تاريخ مصر إلي الفتح العثماني (مع نبذة في تاريخ أخبار الأمم التي ارتبطت بمصر إلى ذلك العهد)،ط4،مطبعة المعارف،1338هـ/1920م،ص،239.

[5]-الضاهر سيف الدين برقوق:784هـ/801هـ هو الملك الظاهر أبو سعيد سيف الدين برقوق بن لاطين الشراكس آنص العثماني اليلبغاوي الجركسي،أول السلاطين الشراكسة ،تسلطن برقوق مرتين 784هـ-791هـ ثم 792هـ-801هـ ،حكم مصر والشام قائد للعسكر قبل توليه السلطنة،أخذ برقوق يافعا من بلاد الشركس واصله من قبيلة كسا وجلب إلي مصر مع الرقيق ،كان عهدا السلطان حافلين بأحداث مختلفة أكثرها محاولات تمرد والانشقاق ومنازعات بين كبار أمراء المماليك البحرية والشراكسة من اجل السلطة ،إضافة الى تفشي الأمراض وكساد الأسواق ،و كذلك ظهور تيمورلنك ،وبروز الإمارة العثمانية في عهده،للمزيد ، المغلوث، المرجع السابق، ص172.

[6]-مفيد الزيدي،موسوعة التاريخ الإسلامي ،العصر المملوكي ،دار أسامة للنشر والتوزيع ،الأردن عمان،2009،ص89.

لكن برقوق اشتغل بإخماد الفتن الداخلية وكذا التصدي للتهديد الذي لحق بالبلاد والمتمثل في خطر إغارة التتار والذين قادهم تيمورلنك[1] بعدما كانوا استولوا على بغداد في 795هـ/1393م وخضعت لهم الجزيرة بأكملها سنة 796هـ/1394م ولكنه لم يتمم هذه المهمة وتولى ابنه من بعده السلطة وخرج إلى الشام ووقع بين الجيشين مناوشات بالقرب من دمشق كان الغلبة فيها للمصريين فطلب تيمورلنك من السلطان الصلح فأجابه إليه لكن نتيجة الفتن التي نشبت في الجيش المملوكي اضطر السلطان للعودة إلى مصر وترك دمشق ليدافع عنها أهلها فدخلها تيمورلنك، فشهد الربع الأخير من ق8هـ/14م ثلاثة حملات للاشرف برسباي[2] (827هـ/828هـ/829هـ/1424م/1426م)، وكانت هذه الحملات الثلاثة ضد جزيرة قبرص وتمكن من تحقيق النصر واسر ملكها ويعتبر ضم قبرص الإضافة الوحيدة في رقعة الدولة المملوكية في زمن المماليك الجراكسة ،كما أن هذه الحملة تعتبر الحملة الثالثة للهجوم المملوكي ضد الصليبين بعد تصفية الإمارات الصليبية في بلاد الشام ،بالإضافة إلى أن هدف هذه الأعمال الحربية ضد قبرص هو تامين التجارة المصرية في المتوسط ضد أعمال القرصنة التي كانت تمارس في تلك الفترة ضد التجارة المملوكية .[3]

غلى الرغم من أن أكثرية سلاطينهم وأمرائهم مولعون بالعلوم ،واشتهروا بالتنافس في بناء القصور الضخمة والأربطة والجوامع والمدارس غير أنهم كانوا يميلون إلى الظلم والتعسف فأثقلوا كاهل الأمة بالضرائب وتسرب الخلل في جميع الحكومة وأصبح العدل فيها يشتري ويباع ،وكثرت الثورات والفتن في البلاد حتى ضج

[1]-تيمورلنك :ولد في 737هـ/1336م، في مدينة كش قرب سمر قند ، اصبح زعيما لقبيلته بعد والده وتولى حكم بلاد ما وراء النهرين.للمزيد انظر ، الشرماني عبد السلام ،أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين ،جز751،4هـ-1000هـ/1350م-1591م،ط1،1417هـ-1997م،ص104.

[2]-الملك الاشرف برسباي:825هـ-841هـ/1421م-1438 هو الملك الاشرف سيف الدين ابو النصر برسباي بن عبد الله الدقماقي الظاهري السلطان الثاني وثلاثون من سلاطين المماليك والسلطان الثامن من المماليك الجراكسة،ولد في القفقاس بلاد الشركس ،اخذ صغيرا وبيع في القرم إلى أن وصل إلى الملك برقوق،ترقي في الخدمة وتمكن من التخلص من خصومه علي الرغم من سجنه العديد من المرات،،جلس علي السلطنة لمدة ستة عشر سنة وثمانية أشهر،كان الأوضاع الداخلية تشهد بعض الفتن والاضطرابات بسبب تمرد الحكام بالإضافة إلى تفشي الطاعون،أما علي المستوي الخارجي فقد كانت علاقة البلاد مع جيرانها تتأرجح بين الموالاة التامة والعداء الشديد انظر المغلوث المرجع السابق،ص،188-190.

[3]-نادية محمود مصطفي،العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية 642هـ-923هـ/1258م-1517م،المعهد العالي للفكر الإسلامي القاهرة 1417هـ-1996م،ص،99.

الناس من شر الجنود وعبثهم بالأمن[1]،الأمر الذي أدى إلى نتائج سلبية في الدولة على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعسكري[2].

وعموما فقد كانت دولة المماليك في مصر دولة إقطاعية حربية بكل معنى الكلمة ويمثل السلطان قمة الهرم الإقطاعي وهو في ذات الوقت رئيس الجهاز الحكومي في البلاد وصاحب اعلى سلطة فيها ،إلا انه لم يستغني عن استشارة كبار رجال الدولة في المسائل والأمور الهامة فكان من الطبيعي أن يعاون السلطان عددا من كبار الموظفين مهمتهم مساعدة السلطان في شؤون الحكم والإدارة ،هذا فضلا عن مجموعة من الدواوين الكبيرة لإدارة مرافق الدولة العديدة.[3]

تميز حكمهم بالدموية فقد كانوا ينقلبون على بعضهم البعض طمعا في الحكم ،فالكثير مات مقتولا بيد مملوك أخر ،وعاني المصريين أنواعا من التعسف والجور والظلم ،وهذا من خلال سياسة التعالي التي انتهجوها بالإضافة إلى احتقارهم وإذلالهم للناس ،فقد عاملوهم معاملة العبيد وفرضوا على المصريين الضرائب الفادحة وغيرها.

شهدت مصر مجموعة من الأزمات في العصر المملوكي سواء في الدولة البحرية أو البرجية وهذا راجع إلى مجموعة من العوامل سنحاول استعراضها في النقاط التالية الذكر:

لاشك أن مناخ أي بلد وعناصره المختلفة من جفاف ورطوبة وحرارة وبرودة يساهم وبدور كبير في انتشار الأمراض أو الحد منها أو التمكين لأمراض معينة تجد في مناخ هذا البلد البيئة المناسبة لها دون أخرى فالبلاد الحارة مثلا تعد من أكثر المناطق عرضة لنمو الجراثيم وتوالد الحشرات التي تنقل العدوى، وعن مصر يذكر المؤرخون أن مناخها يتسم بالحرارة وركود الهواء فيغلب على تربتها كثرة العفونة وهو يؤدي إلى كثرة الفضول في الهواء الذي ينتج عنه الإصابة بالأمراض وذلك لان الأتربة تتخلل الهواء حتى ترى الهواء في أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس ،ويتسخ الثوب النظيف في اليوم الواحد ،وإذا مر الإنسان في حاجة لم يرجع إلا وقد اجتمع في وجهه ولحيته غبار كثير ويعلوها في العشيات خاصة في أيام الصيف بخار كدر اسود واغبر سيما إذا كان في الرياح وهو ما يؤدي إى انتشار الأمراض، ومثال ذلك في جمادي الآخرة في 806هـ-

[1]- الاسكندراني ،المرجع السابق ،ص241

[2]-زيدي ، المرجع نفسه، ص103.

[3]- الحداد، المرجع السابق،ص،34.

1403م حدث بالقاهرة سعال عقب هبوب ريح جنوبية شديدة البرد كثيرة الرطوبة وفشا السعال ثم الحمى وجاء الشتاء شديدا أزيد من العادة ففشا الموت في أهل المسكنة وكان يموت بالجوع والبرد في كل يوم فوق ألف ،فكان عدة من تم مواريتهم التراب اثني عشر ألف نفس وسبعمائة نفس،وفي شوال تزايد هبوب الريح المريسي وكثرت الأمراض ووقع الطاعون والأمراض الحادة وغلت الأدوية حتى بيع القدح من لب القرعة بمائة درهم وقنطار البطيخ الصيفي بثمان مئة درهم والفروج الواحد بسبعين درهما ومن ذلك يتضح لنا أنا المناخ يلعب دورا مؤثرا في الحالة الصحية لاسيما عنصر الحرارة والبرودة[1]، هذه الظروف الطبيعية جعلت من مصر تتعرض بشكل عام إلي حدوث الأزمات وانتشارها لمرات كثيرة في العصر المملوكي ،غير أن انتشارها في المماليك البحرية (648هـ/784هـ) (1250م /1382م)كان اقل مما كان عليه في عهد المماليك الشراكسة (784هـ/923هـ) (1382هـم/1517م)وهذا راجع لان الشراكسة دولتهم بدأت تهرم شيئا فشيئا ،وأخذت عوامل الضعف تنخر في جسدها على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فكانت أثارها واضحة من خلال وقوع أزمات الغلاء وانتشار الأوبئة كالطاعون ومن هذه الأزمات حسب المقريزي في كتابه كشف الغمة لإغاثة الأمة راجع إلى عدة أسباب أهمها : قصور النيل والرشوة والتي هي أصل الفساد حيث لا يمكن الوصول مثلا إلى الوزارة أو القضاء ونيابة الإقليم وسائر الأعمال إلا بالمال الكثير، وكذا غلاء الارض والسبب الأخر هو رواج الفلوس والتي لم تكن في مصر فقط بل عند كل امة من الأمم كالفرس والروم واليونان والقبط .

واهـــم هذه الأزمـات نجـــد:

الغـلاء: وهذا الغلاء ناتج عن قصور النيل (منذ عصر السلطان الظاهر بيبرس 1225)ففي سنة 1294م/1295م كان هناك غلاء ناتج عن توقف النهر عن الزيادة فكانت المجاعة والتي تلاها الوباء حتى عجز الناس عن مواراة موتاهم وخلت القرى من موتاها ،وفي سنة 726هـ و776هـ /1326م -1347م أيضا وقع الغلاء بسبب قصور النيل فادى إلى حدوث الفتنة بين السلطان والأمراء ،والجور وموت الكثير من

[1]-محمد عطية أبو هويشل،الأحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي 648هـ-923هـ،1250م-1517م،رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي ،إشراف مصطفى شاهين رياض ،الجامعة الإسلامية ،غزة،1433هـ-2012،ص ص133،129.

الناس بسبب الجوع [1]،والوباء الرهيب الذي عم أنحاء المعمورة مابين 749هـ750هـ وقد عرفه المؤرخون بالفناء الكبير وقد صحبه مجاعة كبيرة إذا اشتدت الأزمة على الناس بسبب هبوط نهر النيل[2]أما بالنسبة إلى وباء الطاعون الذي تعرضت له مصر ،ما إن دخلت سنة 1388م حتى انتشر الطاعون في القاهرة ونواحيها واستمر حتى 1389م مخلفا خسائر بشرية كبيرة ،وفي 1406تفشى الطاعون وفي 1413وقع الطاعون في مصر وتفشى بين السكان وكان أثره كبيرا على الأطفال دون غيرهم بسبب ارتفاع درجات الحرارة ،وفي 1415م وفي 1416م عاد الطاعون إلى مصر مرة أخرى أدى إلى حدوث غلاء نتج عنه مجاعة في القاهرة وضواحيها ،وفي 1417تفشى الطاعون بالإسكندرية ودمياط ووصل إلى القاهرة واستمر إلى غاية 1419م ،وبعدها بعد 10سنوات 1429م تفشى بالمدن المصرية كالوجه البحري والإسكندرية نتيجة لارتفاع درجات الحرارة فضلا عن الخسائر الكبيرة في الثروة الحيوانية[3].

المجاعـات :وترجع إلى أسباب طبيعية مثل الكوارث الطبيعة كالفيضانات أو نقص المياه أو الزلازل أو الآفات الزراعية التي تؤدي إلى هلاك المحاصيل ،فمثلا حدث في سنة 694هـ/1295م انخفض مستوي نهر النيل وحدث جفاف في مصر وتلاه حدوث مجاعة وفي هذه المجاعة اضطر الناس لأكل لحوم الميتة والكلاب والحمير والقطط من شدة الجوع ووصل الآمر بالبعض أن يأكل لحم البشر.

الأمـراض:هذا وقد شهد العصر المملوكي كذلك بعض التصرفات التي أدت إلى انتشار الأمراض منها المتعلقة بشأن النظافة في المسكن والبيئة المحيطة بهم،فقد كان الأهالي يهملون التنظيف أمام مساكنهم ومنازلهم فيتراكم حول أبوابها التراب والازبال ،هذا إضافة إلى بعض العادات المترتبة علي الجهل والتي ساعدت على انتشار الإمراض كعادة التنفس عند شرب في الإناء والتي تؤدى إلى تلوث الشراب بالعلل والأمراض وانتقال ألعدوي من الشخص المصاب.[4]

---

[1]-المقريزي ، إغاثة الامة، المصدر السابق ،ص ص،112-120.

[2]قاسم عبده قاسم ،النيل والمجتمع المصري في عهد السلاطين المماليك ،ط1،دار المعارف القاهرة 1978م،ص55.

[3]فتحي سالم حميدي لهبي ،جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر المملوكي،ط1، 2014، ص، ص 135، 140.

[4]-ابو هويشل ، المرجع السابق، ص،ص 112، 137.

➢ **-الفصل الأول:الأوضاع الاقتصادية في مصر المملوكية.**

1- الزراعــة.

2-الصناعـة.

3-التجـارة.

4-التدهور الاقتصادي.

االفصل الأول: الأوضاع الاقتصـادية

شهد المقريزي نهاية دولة المماليك البحرية، وبداية دولة المماليك البرجية التي كان له الدور فيها لإدارة الدولة من خلال الوظائف التي تقلدها في الحسبة والقضاء.

عرفت الدولة المملوكية في تلك الفترة حدوث مجاعات وأزمات اقتصادية ونقدية نتيجة الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات والقحط والجفاف، وتفشي الأمراض وسوء الإدارة العامة للدولة، فهذه الأزمات المتعددة للدولة المملوكية أدت إلى التأثير السلبي على الزراعة والصناعة والتجارة وعلى الاستقرار السياسي[1]، ونحن من خلال هذه المبحث سنحاول التعرف على أوضاع الزراعة والصناعة والتجارة التي كانت في تلك الفترة من خلال المطالب التالية:

1-:نشاط الزراعــة:

كانت للزراعة أهمية كبيرة للبلاد، فهي عماد الثروة القومية اعتنوا بها عناية فائقة ،فانشئوا الجسور وشقوا الترع لتوفير مياه الري للأراضي التي يتعذر وصول المياه إليها[2]، وكانت قيمة الأرض الزراعية تختلف باختلاف ما يزرع فيها من المحاصيل التي تؤثر على درجة خصوبتها في العام التالي، وقد كانت الظروف الطبيعة من قرب الأرض من النهر أو بعدها عنه واقترابها من المياه المالحة وحواف الصحراء تؤثر في جودة الأراضي الزراعية، وتحديد نوع المحصول الذي يزرع فيها، وعلى هذا الأساس قسمت الأرض الزراعية إلى درجات هي:

أ/- أنواع الاراضي الزراعية:

◆**-ألبـاق:** وهي أجود أنواع الأراضي زرعت برسيما وحنوبا وبقولا في العام الماضي، وتزرع في العام الجديد قمحا وكتانا.

◆**- ري الشرقي:** وهي الأرض التي شرقت في العام الماضي، فلما رويت بعد أن أريحت عاما كاملا حصل لها من الري بقدر ما حصل لها من الضمأ فأنجب زرعها، وهي تلحق الباق في الجودة.

---

[1] -اسامة سعيد،**استقراء الأفكار النقدية عند المقريزي** ،دراسة تحليله لكتاب النقود الإسلامية المسمي شذوذ العقود في ذكر النقود ،مجلة جامعة تشرين للبحوث و الدراسات التعليمية ،سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية ،مج37،العدد 2،2015ص،

[2] - سعيد عبد الفتاح عاشور ،العصر المملوكي في مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك،دط ،دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان، ص 289،290

◆- البروبية او البرابيا: هي التي زرعت قمحا أو شعيرا في العام الماضي فان زرعت كذلك في السنة التالية لم تجني مثل الباقي، وأصلح ما يزرع في هذه الأرض البرسيم والبقول لراحة الأرض فتصير باق في السنة التالية.

◆- البقهامة أو السقماهية: وهي الأرض التي زرعت كتانا فان زرعت قمحا في السنة الجديدة، جاء صغير الحب اسود اللون يترتب على زراعة الكتان من إجهاد للتربة.

◆- الشتوية او الشتاني: هي التي رويت وبارت في العام الماضي ،وهي ارض جيدة ولكن اقل جودة من الشراقي.

◆- **شق السايح**: هي التي رويت ثم بارت فحرثت وتركت مكشوفة للشمس وهي تجري مجرى الباق وري الشراقي نظرا لان زرعها يكون ناجيا.

◆- **البرش النقاء**:وهي كل ارض خلت من اثر ما زرع فيها في العام الماضي ولم يبق بها شاغل عن قبول ما يزرع من أنواع الزراعات، فإن لم تزرع ينبت فيها الكلأ الصالح للرعي.

◆- **الوشح**:وهي عبارة إن الأرض التي استحكم مساحتها ولم يتمكن المزارعون من إزالته كله،بل حرقوها وزرعوها فجاء زرعها مختلطا بالحلفاء ونحوها.

◆- **الوسخ الغالب**: وهي الأرض التي وجدت بها نباتات غلبت كثرتها المزارعين وشغلتها عن قبول الزراعة فصارت مراعي.

◆-**الخرس**: هي التي فسدت بما استحكم فيها عن موانع قبول الزرع وهي اقل من الوسخ الغالب،ويوجد بها نبات الحلفاء بكثرة.

◆- **الشراقي**: هي الأرض التي لم يصل إليها الماء لقصور النيل وارتفاعها أو لسد طريق الماء عنها.

◆- **المستجر**:عبارة عن كل ارض منخفضة إذا سار إليها الماء لا يوجد مصرفا له.حتى يفوت أوان الزرع والماء باق في الأرض.

◆- **السبخ**:كل ارض غلب عليها الملح حتى ملحت ،ولم ينتفع بها في زراعة الحبوب ،وربما زرع فيها لم يستحكم السبخ منها ،الهليون والباذنجان والقصب الفارسي، وأكثر هذه الأراضي توجد في البلاد التي تقترب من البحر والبحيرات الملحة.[1]

[1]-محمد عبد الرشيد بحر ،القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك ،دط ،الهيئة المصرية العامة ،1999،ص171-174.

وكانت الأرض تزرع مرة في السنة عقب فيضان النيل بسب الوسائل المستخدمة في الزراعة فهي أدوات عتيقة تعود إلى العهد الفرعوني[1]، فقد ازداد محصول الأراضي الزراعية في مصر في عصر السلاطين المماليك نتيجة العناية بالمرافق الزراعية من جسور وترع ومقاييس النيل .

ب–نظام الري الزراعي:

كانت المياه تصل إلى الحقول والمزارع القريبة من مجري النهر والبعيدة عنه عبر نظام محكم من النزع والقنوات، ولما كانت الأرض الزراعية في مصر يتباين سطحها مابين عال لا تكفيه في الري الفيضانات العالية ومنخفض يروي من الزيادة اليسيرة فان ري هذه الأرض كان يتم على مراحل أربع وهي كما يلي:

1–عند وفاء النيل يفتح سد خليج القاهرة حتى يجري الماء في حد معلوم، ويقف حتى يروي كل الأراضي،ويحدث ذلك غالبا في شهر مارس.

2–وفي يوم النيروز وهو أول أيام أوت يفتح الحد الثاني الذي وقفت عنده المياه، وتسمى السدود التي تقطع في هذا اليوم الشيروزية.

3–يحدث في عيد الصليب، إذ يجري الماء إلى حد معين حتى يروي ما تحت هذا المنسوب من الأراضي بعد مرور 17يومامن شهر أوت.

4–يحدث حين تفتح سدود بقية الترع والخلجان التي تحت هذا المنسوب الأخير لمياه النهر، وبذلك يتم ري باقي الأراضي الزراعية.[2]

وكانت الأرض التي تزرع قبل أوان تفسد زراعها كما حدث سنة 821هـ، حيث أسرع النيل بالهبوط فبادر الناس بالزرع قبل الأوان ففسدت المزروعات واكلها الدود ونتج عن ذلك الغلاء، وكانت الأرض التي تزرع بطريقة ري الحياض تغل محصولا واحد من المزروعات التي عرفت باسم المحاصيل الشتوية من أهمها:القمح الفول والبصل ، أما أراضي الري الدائم كانت تنتج المحاصيل الصيفية أهمها:قصب السكر ،القطن والبطيخ ،وكذلك كانت الفواكه والخضروات والإزهار والرياحين تزرع في البساتين والحدائق التي انتشرت علي ضفاف النيل في عصر سلاطين المماليك.

[1]– عاشور،المرجع السابق، ص284.

[2]– قاسم ،النيل والمجتمع المصري، المرجع السابق، ص20.

1- الجسور والترع والقناطير:

هي أدوات نظام الري الذي عرفته مصر قبل عصر السلاطين المماليك، إذ تشكلت في المراحل الأولى من العصور السابقة عندما كان قدماء المصريين يبحثون عن طرق ووسائل للاستفادة من فيضان النهر، وتطورت الشبكة من وسائل ضبط النهر لتتخذ ذلك الشكل الذي عرفته البلاد في ذلك العصر المملوكي.

في حين تنجح عملين ضبط النهر ينعكس ذلك على الوادي بالأتساع وغزو الصحراء و البور والبراري ،وحين يفشل ضبط النهر يكون تراجع الخضرة أمام رمال الصحراء ومياه البحر المالحة ،وقد أدرك سلاطين المماليك ذلك واهتموا بضبط مياه النيل باعتبارها ثروة قومية ،حيث كانوا يعددون المنشآت الخاصة بضبط النهر والتحكم في مياهها واهم هذه المنشآت:

أ-الجسر: وهو عبارة عن مد ترابي مبني على حافة النهر يحفظ الماء من أن يفيض على ضفتيه للاستفادة منها في عمليات الري.وانقسمت جسور النيل الى:الجسور السلطانية والجسور البلدية .

ب-الجسور السلطانية:هي عامة النفع في حفظ النيل علي البلاد كافة إلى حين وقوع الغني عنه،وزوال الخوف عليها منه ،كانت تشيد وتتم صيانتها من الديوان السلطاني وقد وصفت بأنها بمثابة السور المحيط بالمدينة على السلطان إن يهتم به.

ت- الجسور البلدية:هي الخاصة النفع بناحية دون ناحية ،يتولي إقامتها وإتقانها المقطعون والفلاحون بما ينفقوه فيها من عندهم وقد وصفت بأنها تماثل الدور الواقعة داخل نطاق المدينة.[1]

أما بالنسبة إلى الشرع والقنوات أو الخلجان :

ث -خليج الإسكندرية :أنشا هذا الخليج عام 331 ق.م مراكب الإنشاء مدينة الإسكندرية ليمدها بالمياه من فرع النيل تجده حفر ثلاث مرا في عصر المماليك.

ج -خليج الفيوم :حفره يوسف عليه السلام وهو ما تشق من النيل لا ينقطع جريه أبدا .[2]

د-خليج المنهى:وهو فرع من فروع النيلنوفي عصر السلاطين المماليك كان يخرج من نهر النيل قرب ديروط إلى إقليم الفيوم ،كان ماؤه يجف 4اشهر ويجري 8اشهر.

---

[1]-ابن مماتي،قوانين الدواوين،ط1،مكتبة مديولي القاهرة؟1991،ص232.

[2]-المقريزي ،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ،ج1،دط ،دار صادر بيروت ،ص71 .

هـ –أهم القناطير:عدد المقريزي أهم قناطر مصر في زمنه :قناطر الخليج الكبير ارع عشرة قنطرة وعلى خليج فم الجسور قنطرة واحدة وعلي خليج الذكر قنطرة واحدة وعلى الخليج الناصري خمس قناطر،وعلى بحر أبي المنجا قنطرة عظيمة وبالجيزة عدة قناطر أهمها:قناطر السباع ،قنطرة عم شاه هذه على الخليج الكبير،قنطرة أفق سنقر،قنطرة باب الخرق، قنطرة الأمير حسين،قنطرة باب القنطرة،القنطرة الجديدة، قناطر الإوز، قناطر بني وائل، قنطرة الغجر.[1]

ج /المحاصيل الزراعية:كانت تصنف حسب الشهور (الشهور القبطية)

•**–توت**:في هذا الشهر أيلول يكثر السفرجل والعنب الشتوي وبند وقيه المحمضات.

•**–هتور (تشرين الأول)**:في بدايته يصرف الماء عن أراضي الكتان وبعد تمامه يلبخ وفيه يكشف عما تحتاج إليه معاصر قصب السكر من ورقة.

• **–ليهك (كانون الأول)**:أول فصل الشتاء فيه زراعة القرط وفيه إدراك الرجس والمحمضات ومن البقولات الفول الأخضر والجزر والسكر الأبيض .

•**–طوبة(كانون الثاني)**:فيه زراعة الفول الأخضر

•**–أمشير (شباط)**:فيه قلاع السلجم واستخراج خراجه،وفيه ترقيد البيض أربع شهور،وفيه تدرك الكروم ،اللوز والنبق.

•**–برمهات(آذار)**:ابتداء فصل الربيع فيه زراعة الصيافي،وإدراك الفول والعدس وقلاع الكتان وزراعة قصب السكر.

•**–برمودة (اذار ونيسان)**:ابتداء كسار الفول وحصاد الشعير وجميع الحبوب،ونفض جوز الكتان وفيه يكثر الورد وخيار شنيز.

•**–بشتس(ايار)**:فيه زراعة الأرز والسمسم وفيه دراس الغلال وهدير الكتان وقبض البرر والتقاوي وفيه زراعة السليم وسقيه.

•**–بؤونة (حزيران)**:أول الصيف وهو أول زيادة النيل وفيه يقطف العسل والنحل ،وفيه زراعة النيلة وفيه يكثر السبق ألبوني والخوخ الزهري والبلح والحصرم.

[1]– المقريزي ،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ،ج2،مكتبة مديولي القاهرة ،د ت ن ،ص ص،714-716.

•**–أبي (تموز)**وفيه زراعة القوة والكتان.

• **–مسري(آير)**:وفيه إدراك اليسر وتحريض النخل واستخراج زكاته،ويدرك الليمون.

•–**بابه(تشرين الأول)**:نهاية النيل تزرع الغلة بدريا في النصف منه،زراعة السلجم ،حصاد الأرز إدراك التمر والزبيب.[1]

–أما فيما يخص المحاصيل الزراعية المصرية في تلك الفترة فإنها بدورها تنقسم إلي قسمين :

1–المحاصيل الشتوية:والتي كانت تزرع في فصل الشتاء والخريف على مياه الفيضان وأهمها:

***القمح**:والذي يفضل أن يزرع في ارض ألباق الشرقي،وتكون زراعته تدريجيا من الوجه القبلي إلى الوجه البحري،بحسب انحسار الماء عن كل جزء.

***الشعير**:يزرع قبل القمح ويحصد قبله ،ويفضل ان يزرع في الأرض التي زرعت قمحا في العام الماضي.

***الفول**:يفضل زراعته في ارض البرايب.

***العدس** ،الحمص و الجلبان (الحلبة)وكذلك الكتان ويفضل زراعته في ارض البرش،إضافة إلى الثوم والبصل والترمس.[2]

الكثير من المحاصيل الزراعية الشتوية تزرع بطريقة التلويق(من ارض الملق الأرض الملية بشدة والغارقة بالماء) ،وهي ان يحمل الرجال الملا وق ألواح كبيرة ذات مقايض طويلة، يقلبون بها الطين على حبوب التقاوي ،لتختفي بالتربة بعيدا عن الطين وحرارة الشمس،ويقابلها طريقة الحرث هي بذر التقاوي ثم تقلب الأرض بالمحراث ،ولا يتم ري المحصول بعد وضع البذور،وبعد نضجه يقوم الفلاح بحصاده.

2–المحاصيل الصيفية:وهي التي كانت تزرع في فصل الربيع والصيف على الماء الدائم الجريان واهم المحاصيل:

*معظمها خضروات إضافة إلي البطيخ الأصفر والأخضر واللوبيا والسمسم والقطن ،الفجل ،اللفت والخس ،الكرنب ،إضافة إلى الأرز الذي تحتاج إلى كميات كبيرة من المياه الدائمة،لذلك تكثر زراعته في منخفض

[1]–ابن مماتي ،المصدرالسابق،ص.ص258.234.

[2]–، بحر، المرجع السابق ،ص.ص 182".183.

الفيوم وشمال الدلتا، ومن المحاصيل أيضا قصب السكر هو الأخر يحتاج إلى كميات كبيرة من المياه ثم القلقاس والباذنجان والبامية والملوخية والخسة الجزر والقرنبيط والقرع والخيار والفجل الذي يزرع طوال السنة.

كذلك انتشرت البساتين وأشجار الفواكه في أنحاء البلاد فانتشرت نخيل البلح بشكل خاص ،أما سائر أنواع أشجار الفواكه كالتين والتفاح التوت ،اللوز والخوخ والمشمش،الموز،النرجس،إضافة إلى الورد الياسمين،الريحان.[1]

3-الثروة الحيوانية:الاقتصاد الحيواني للفلاح لم يكن يتغذي اقتصاديا منزليا اي عدد الماشية التي يمتلكها لم تكن أكثر مما يسعها بيته الصغير لتساعده في العمل الحقلي ،ومن الياتها احتياجاته اليومية ،فلم يكن الفلاح يعرف كيفية استثمار رؤوس الأموال في تربية الماشية في ذلك العصر وبجوار الفلاحين نجد بعض أهالي القرى احترفوا مهنة رعي الماشية دون الزراعة وتفرغوا لذلك تماما وكانوا يقيمون في التابة[2]،وتمثلت الثورة الحيوانية آنذاك في الجمال والبغال والخيل والجاموس والأغنام والبقر، التي كانت الثروة الحيوانية الحقيقية بالنسبة للفلاح في مقام أولاده ويليه الأغنام.إضافة إلي الطيور الداجنة التي لابد للفلاح من تربيتها مثل الدجاج والإوز والبط والحمام ،إضافة إلي نحل العسل.[3]

2:نشاط الصناعـة.

كانت الصناعة في عصر المماليك قد ارتقت رقيا كبيرا وقد اشتهرت في ذلك العصر صناعة تكفيت البرونز والنحاس والذهب والفضة والصناعات المعدنية والتي تتمثل في الأواني النحاسية والصناعات الدقيقة الصنع ذات النقوش والكتابات الجميلة [4]، وقد وجدت في القرى المصرية بعض الصناعات الصغيرة مثل الصناعات القائمة على قصب السكر والحلويات والعسل الأسود.[5]

[1]- عاشور ،المرجع السابق،ص271.

[2]-التابة:عبارة عن اكواخ علي شكل نصف دائرة مكونة من الطين الجاف ومسقفة باعواد الغابة،انظر نفسه ،ص185.

[3]-بحر،المرجع السابق ،ص185.

[4]- عاشور،نفسه ، ص285.

[5]- بحر ،نفسه، ص ص 190.188.

أ/– صناعة المنسوجات:

كما انتشرت في ذلك العصر صناعة المنسوجات في إقليم مصر وقراها خاصة مناطق الفيوم وبلاد الوجه القبلي نظرا لزراعة الكتان هناك حيث بعض الحصاد تجفيفه ثم فصل أليافه عن السيقان بالمحار ثم يتم نسجه.

وهنالك صناعة المنسوجات القطنية (الأقمشة الفاخرة)والمنسوجات والملابس الصوفية وقد أسهمت النساء في هذه الحرف في منازلهن، حيث كانت الأقمشة الفاخرة المصنوعة من الحرير والصوف والكتان والقطن التي صنعت منها الخلع السلطانية والفراش والستور والخيام.

ب/– الصناعة الحرفية:

ومن الحرف اليدوية التي وجدت في ذلك العصر في مصر الصناعات التي قامت علي ألياف النخيل وجريدة الذي كان يصنع منه أقفاص للطيور، وكذلك يصنع من أوراق الجريد القفاف والمراوح، كما انتشرت صناعة الحصر في قري مصر،صناعة الفخار التي تكونت منه معظم الأواني المنزلية في الريف.

هناك صناعة الجلود حيث وجدت المدابغ والمصابغ،أما الزجاج فقد صنعت منه أنواع عدة بعضها من البلور المستخدم في النوافذ وكذلك الخزف ،هذا بالإضافة إلي الصناعات الخشبية.

ج/– الصناعة الغذائية:

حرفي الغذاء وهي الأكثر ارتباطا بالمجتمع في حياته اليومية، وقد كانت غالبية رواد هذه المطاعم من سواد العامة ومن الفقراء، وكانت هناك باعة الطعام الجائليب يطوفون بالشوارع ومعهم الطعام المطهي على عربات أما الأثرياء وميسوري الحال كانوا يراسلون ما يريدون طهيه إلى مطابخ تخصصت في ذلك وقد عرفت هذه الطائفة بالشرائحية.

وكانت هناك صناعة الخبز من طرف الخباز فكان هناك ما يباع جاهزا في الأسواق والحوانيت ومنه ما كان بعد في البيوت ثم يبعث للأفران مخبزة،كما كانت صناعة السكر احدي الحرف الهامة المتصلة بالغذاء وقد قامت صناعة الحلوى على صناعة السكر أهمها الزلابية أشهر الحلويات الشعبية صناعة التماثيل السكرية كان لها السوق خاص سوق الحلاويين.[1]

[1]– قاسم ،المرجع السابق،ص ص145.-150.

3:نشاط التجـــارة:

كان لها المقام الأول في النشاط الاقتصادي وكانت المصدر الأول في الثروة ،ويرجع السبب في النشاط التجاري التي تميزت به مصر في عصر المماليك إلى انسداد معظم طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب منذ القرن13م بسبب حركة المغول التوسعية فلم يبقي إلا طريق البحر الأحمر ومصر الذي أصبحت تقوم بدور الوسيط بين الشرق والغرب.

وقد تمتعت القاهرة بحركة تجارية ضخمة وكانت البضائع تتدفق عليها من شتي أنحاء العالم القديم ،فكانت تصلها البضائع من الهند والحبشة ومن أسيا ألصغري ومن أوروبا ومن المدن الأوروبية التي كانت تتعامل مع أسواق القاهرة خاصة المدن الايطالية مثل روما والبندقية[1]

أ/-أهـم الطرق التجـارية:

أهم الطرق التجارية بين بين الشرق والغرب :منها ما هو بري وما هو بحري وينقسم إلي ثلاث طرق

1-الطريق البري: يأتي من الصين إلى الهند فالخليج العربي تبتدئ فروعه من البصرة فبغداد ثم يتوجه في اتجاهين شمالا إلى ديار بكر ،وغربا إلى دمشق ومنها إلى الموانئ المملوكية على بحر الروم (المتوسط)ويعبر الصحراء إلى القاهرة.

2-الطريق الثاني بحريا: يأتي من الشرق الأقصى عبر المحيط الهندي إلى بحر القلزم (الأحمر).

3-**الطريق الثالث نهري بري:**يأتي من وسط أسيا عبر الهند وجبالها إلى بحاري حيث يتفرع الى قسمين :بحر قزوين وبلاد البلغار والى البحر الأسود وموانئه.

4-الطريق الرابع كان بحريا من الصين والهند إلى مرمر على الخليج العربي.

[1]-محمدعوض الله،أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك ،دط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،2014،ص 50.

ب/الأسـواق التجاريـة:

هي جزء أساسي من الحركة التجارية وتتأثر تجارة الأسواق بمختلف الظروف والمراكز التجارية التي عاشتها المدن، وهناك نوعان من الأسواق:

1-أسـواق دائمة :عرفت نوعا من التخصيص في البضائع والتي تباع في كل منها وهو ما يتفق مع طبيعة الحياة الاجتماعية في ذلك العصر منها:

***أسـواق المواد الغذائية** :كانت منتشرة في جميع أنحاء البلاد.

***سـوق باب الفتوح**:من أشهر الأسواق كان يقصدونه الناس لشراء أنواع الضان والبقرة ولشراع أصناف الخضروات.

***سـوق حارة برجوان**:من الأسواق القديمة معمورة ببياعي لحم الضان السليخ واللحم ألبقري ،وكثير من الخبازين واللبانيين والطباخين.

***سوق الدجاجين**:كان يباع فيه الدجاج والإوز وفيه حانوت العصافير.

***سوق بين القصرين**:من أعظم الأسواق وقد خربت معظم حوانيته زمن المماليك الشراكسة.[1]

***سوق الحلاوين** :لبيع ما يتخذ من السكر حلوى، من أبهج الأسواق لما فيها من حوانيت التي بها الأواني وآلات النحاس الثقيلة الوزن والحلوات المصنعة عدة ألوان. .

***أسواق بيع الملابس**:تخصصت في بيع الملابس ولوازمها.

*سوق الحرير:كانت تباع فيه الخلع التي يليها السلاطين والأمراء والوزراء والقضاة.

-**الأسواق المؤقتة**:عرفت مصر في زمن المماليك نوعا من الأسواق التي كانت تقام بصفة مؤقتة في مواقع تجمعات الناس حول مناسبة بيعها.[2]

[1]- المقريزي، الخطط .. ،ج2،المصدر السابق ،ص،200.

[2]-مروان عاطف الصلاعين ،"**السلع التجارية في الأسواق المصرية في دولة المماليك البحرية**"،المجلة المارد نية للتاريخ والآثار،المجلد 6،العدد 2012،2.ص. 63

ج/- التجـارة الخارجيــة:

أما بالنسبة للتجارة الخارجية فقد اهتم السلاطين بها لما تعود به عليهم من ثروة ،فاهتموا بتنظيمها وتامين مسالكها وإنشاء المؤسسات اللازمة للتجار كالفنادق والحانات والأسواق .

وغيرها،وحرصوا على التقرب من قوي البحر الأحمر من جهة أو من التجار الأوروبيين من جهة الوافدين إلى الإسكندرية من جهة أخري[1]

ومن أهم العوامل التي أدت بمصر في عصر المماليك الشراكسة إلى تقدم الحياة الاقتصادية وتطورها ومن السيطرة على تجارة الشرق والغرب.

1/- الموقع الجغرافي: لقد كان لموقع مصر الجغرافي اثر ايجابي في حياتها الاقتصادية ومكنها من السيطرة على منطقة حوض البحر المتوسط ،وجعلها حلقة وصل بين تجارة الشرق والغرب ،وبذلك بسط المماليك نفوذهم على ثلاث بحار هامة :البحر الأبيض المتوسط،البحر الأحمر ،ومدخل المحيط الهندي.

2/-سياسة الدولة: لقد كان لسياسة الشراكسة أهمية كبري في التجارة الخارجية لمصر من خلال سياستهم المشجعة لحركة التبادل التجاري في الموانئ المصرية ،فضلا على منح الأوربيين الكثير من الامتيازات الاقتصادية ،وذلك من خلال تامين طرق التجارة من القراصنة وتشجيع التجار الأوربيين على جلب بضائعهم إلى الموانئ التابعة لدولة المماليك الجراكسة وبذلك توافد عدد كبير من التجار الأوربيين إلى مصر بفضل حسن المعاملة التي تلقونها من قبل العاملين في الموانئ هذا بالإضافة الى اهتمام السلاطين بالجانب الأمني الخاص بالأسواق التجارية لاستقبال عدد كبير من التجار الأوربيين.

3/- المعاهدات والاتفاقيات التجارية: هناك اتفاقيات تجارية واتصالات دبلوماسية مع ملوك الدول الأوروبية وحكامها وذلك من اجل تسهيل العملية التجارية وما ترتب على ذلك من فائدة للدولة المراكب التجارية الشركسية من دخول عدد اكبر من الموانئ التابعة لها ،وبذلك يتم فرض ضرائب بقدر قيمتها مثل المعاهدات والمراسلات بين فرج ودوق البندقية الذي بعث له برسالة تخص الجانب الأميني لتجار

[1]- عاشور،المرجع السابق ،ص288

البندقية.وحصيلة لتلك المراسلات والمعاهدات انتعشت الحركة التجارية وكثرة نوافذ التجار الأوربيين إلى دولة المماليك الشراكسة.[1]

4/–حماية الطرق التجارية: حمايتها من خطر القراصنة وذلك لتسهيل وصول التجار الأوربيين إلى الموانئ المصرية وللمراكب الحاملة للبضائع القادمة من المحيط الهندي والبحر الأحمر.

5/– طرق التجارة بين الشرق والغرب: للطرق التجارية أهمية في ازدهار التجارة المصرية والتي تعددت بين الشرق والغرب منها ما هو بحري وما هو بري.

و/– المراكز التجارية(الموانئ): تعد رئة الحياة التجارية لأية دولة ،فهي تشكل عصب الاتصال بين البلدان وبها يدل علي مدي النشاط التجاري.

وقد أدت المراكز التجارية دورا حيويا في النشاط التجاري في العصر المملوكي ومن أبرزها ميناء دمياط والإسكندرية الواقعين علي البحر المتوسط وميناء عيذاب ورشيد على البحر الأحمر، وأهميتها تكمن في تجميع للسلع الهندية والصينية ومنها تنقل إلي أوروبا .

أن سلاطين اتبعوا سياسة احتكارية عقيمة فاحتكروا تجارة التوابل والجور ،وقد اشتد سياسة الاحتكار في عهد السلطان برسباي الذي أبطل التعامل بالنقد البندقي والفلورنسي وصك الدينار الاشرفي ليكون أساسا للتعامل مع التجار الأوربيين الذين أذاقوا ذرعا بسياسة السلاطين المماليك واحتكارهم فبحثوا عن طريق عن طريق أخر فاكتشفوا رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن (9هـ/15م)وكان ذلك بداية تدهور مصر في التجارة العالمية،[2]باعتبار أن مصر الجركسية كانت مسيطرة على منفذين رئيسين من منافذ التجارة العالمبةومما البحر الأحمر والخليج العربي اللذان كانا ممرين لمعظم تجارة أوربا ،وهذا كان يثير القلق لدي الصلبين فحاولوا فرض حصار اقتصادي يؤدي إلى إضعاف الدولة الشركسية ،وهذا منذ سنة 1388م من قبل القراصنة الصلبين المقيمين في قبرص على سواحل مصر وبلاد الشام فقد تم الاستيلاء على مركب تجاري تابع للدولة الشركسية قادم من ميناء طرابلس الشام باتجاه ميناء دمياط في مصر ،كان مجملا عددا من التجار وبهذا اصدر السلطان أمرا بإلقاء القبض على جميع التجار الأوربيين المتواجدين في الموانئ المصرية والشامية وفي 1328م اتخذت

[1]–فتحي سالم حميدي لهبي ،جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر المملوكي ،ط1، د.ب.ن،ص،ص115، 118.

[2]– عاشور ،المرجع السابق،ص ص289.288.

العلاقات طابعا سلميا بين مصر وقبرص حتى 1405 إذ قام القبارصة بفرض حصار الموانئ المصرية ،إلا أن مواجهة ذلك الحصار كان سريعا إذ تم الحجز علي التجار والقناصل الأوربيين كافة في ميناء الإسكندرية.

واستمرت محاولات القرصنة من قبل الصلبين حتى سنة 1437حيث تخلص برسباي من الخطر القبرصي.

4- التدهور الاقتصادي

عدم استقرار الحياة الاقتصادية في مصر هو نتيجة تلاعب السلاطين بالعملة وحدوث الفتن والمنازعات بين الطوائف والمماليك، إضافة إلى انخفاض النيل أدى إلى حدوث أزمة اقتصادية في البلاد[1] خاصة القرن 15 م شهد علامات نحو التدهور الاقتصادي حيث كان هناك وكذلك في القرن 14 ما يشبه الانكماش العالمي الذي انعكس على حجم التجارة والموارد المتاحة وعلى عدد السكان في العالم ويرجع ذلك إلى ظروف داخلية وخارجية كانت تعيشها الدولة المملوكية وأهمها:

الظروف الداخلية: لقد ذكر المقريزي من خلال كتابه إغاثة الأمة بكشف الغمة أن سبب الأزمة الاقتصادية والتدهور الذي شهد ته مصر يعود إلى ثلاثة أسباب رئيسية وهي:

- السبب الأول: وهو أصل الفساد ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة، كالوزراء والقضاء ونيابة الأقاليم وولاية الحسبة،وسائر الأعمال بحيث لا يمكن التوصل إلى شيء منها إلا بالمال الجزيل.

- **السبب الثاني:** غلاء الأراضي وذلك أن قوما تقوا في خدمة الأمراء ،تولفون إليهم بما جبوا من الأموال إلى أن استولوا على أحوالهم ،فنهبوا المزيد من القرية ،ولا وسيلة اقرب إليهم من المال فتعدوا إلى الأراضي الجارية في أقطاعات الأمراء،واحضروا مستأجريها من الفلاحين، وزادوا في مقادير الأجر، فقلت لذلك متحصلات مواليهم من الأمراء، فجعلوا الزيادة لدينهم كل عام حتى بلغ الفدان من الطين، واشتدت وطأتهم على أهل الفلح،وكثرت المغارم في كل الجسور وكانت الغلة التي تتحصل من ذلك عظيمة القدر زائد الثمن على أرباب الزراعة لاسيما في الأرض منذ كثرت هذه المظالم ومنعت الأرض زكاتها.

[1] فائز علي بخيت ،"**المماليك الجراكسة في مواجهة الحصار الاقتصادي الصليبي** "،مجلة كلية العلوم الإنسانية ،العدد الثالث عشر ، المجلد7، د ب ن،2013م ،ص 9

خربت معظم القرى وتعطلت أكثر الأراضي من الزراعة فقلت الغلال وغيرها مما تخرجه الأرض، وأكثر الفلاحين تشردهم في البلاد من شدة السنيين وهلاك الدواب ،ولعجز الكثير من أرباب الأراضي عن زراعتها لغلو وقلة المزارعين.

- **السبب الثالث:** رواج الفلوس:إن النقود التي تكون أثمانا للمبيعات وقيما للإعمال إنما هي الذهب والفضة، لا يعلم في خبر صحيح ولا سقيم عن أمه من الأمم ولا طائفة من الطوائف البشر إنهم اتخذوا أبدا في قديم الزمان ولا حديثه نقدا غيرها حتى قيل أول من ضرب الدينار والدراهم ادم عليه الصلاة والسلام[1].

بإضافة إلى انخفاض مقادير الجباية في كافة الآمال المصرية بصورة لم بسبق لها عهد من قبل على اثر الخلل الذي حل بالنظام الإقطاعي وواكب تلك الأزمة ظهور التهديد التيموري للأراضي المملوكية ،ومن ثمة كان دور مصر مواجهة هذه الأخطار ضعيف[2].

-حرص معظم سلاطين وأمراء المماليك على جمع الثروة بشتى الوسائل والسبل فمرة يفرض ضرائب جديدة وأخري بزيادة تلك الضرائب او برفع قيمة المكوس ،فلجئوا إلى المصادرات ونحو ذلك ويظهر أن تدخل بعض السلاطين المماليك بالتجارة واشتغالهم بها كان احد الأسباب الرئيسية في تراجع الاقتصاد المملوكي بشكل خاص وانهيار الدولة بشكل عام ،وقد حذر أبو الفضل الدمشقي منذ أواسط القرن 6هـ /12م من الآثار السلبية المترتبة علي عمل السلطان بالتجارة وذلك بقوله إذا شارك السلطان الرعية في متاجرتهم هلكوا وان شاركوه في حمل السلاح هلك إذا كان لكل واحد عمله الخاص وواجبه المناط به فعمل السلطان بالتجارة تلهيه في النظر في واجباته الرئيسية لذلك عمل بعض السلاطين وأمراء المماليك بالتجارة وعرفت تجارتهم بتجارة.الخاص،إذا احتكروا الكثير من السلع التجارية مثل القمح والسكر والزيت والقطن والبهار والفلفل واشرفوا على تسويقها وتحديد سعرها الآمر الذي نتج عنه ارتفاع باهظ في أسعار تلك السلع.[3]

-المقريزي ،إغاثة الامة... ، ص،ص117،120.

[2]-محمد احمد محمد،الغزو التيموري لبلاد الشام وآثاره 803/1400/.1401،دط ،دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع،ص9.

[3]-فيصل عبد الله بني محمد،"**العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكي الأول 1250م/1381 والثاني 1381م/1517م**"،المنارة،المجلد 14،العدد 2،2008،د ب ن ، ص7 .

-الظروف الخارجية للتدهور الاقتصادي:

-بعد فشل سياسة الحصار الاقتصادي تركز اهتمام الإفرنج منذ نهاية القرن 8هـ/14م على أداة أخرى سبق سايرت الحرب الاقتصادية ،وهي أعمال النهب والتخريب والقرصنة على الموانئ المملوكية في مصر والشام لجعلها غير أمنة لنزول التجار.

- أن التدهور الاقتصادي والأزمة المالية التي استحكمت مصر قرب منتصف القرن 15 م هي التي أفرزت الاتجاه المملوكي نحو سياسة جديدة احتكارية هدفت لتحقيق أفضي مكسب مالي من تجار العبور بأي حركة مرور السلع بين الهند والبحر الأحمر وإفريقيا والمتوسط وقد ترتب على السياسة ارتفاع هائل في الأسعار اثر على الحياة في مصر كما أثار ردود فعل انتقامية أوروبية جديدة.

-كما نجد أن البندقية[1] احتكرت تجارة المتوسط بالتعاون مع برقوق وابنه فرج في أوائل القرن14الامر الذي أدى إلى استبعاد منافسة قوي آخري وخاصة جنوه، وتزايد شن قراصنة جنوه[2] ورودس [3]وقبرص لهجماتهم ضد المصالح المملوكية، لهذا عملت البندقية على الحفاظ علي مصالحها التجارية مع الدولة المملوكية مستخدمة في ذلك طرقا شتي من أهمها:

الوساطة بين مصر وبين رودس وقبرص لإطلاق سراح الأسري المسلمين وخوفا من تطبيق مبدأ المسؤولية الجماعية.

---

[1]-البندقية :مدينة تقع شمال شرق ايطاليا علي البحر الادرياتيكي ،وهي عبارة عن مجموعة جزر،امتد سلطانها في القرن 10الي الشاطئ الشرقي من البحر الادرياتكي ،ثم تحولت إلي جمهورية سنة 1848م وفي عام 1866م انضمت إلى ايطاليا وأضحت جزءا منها،للمزيد انظر عبد السلام الشرماني ، المرجع السابق، ص819.

[2]-جنوه:مدينة قديمة شمال في شمال غرب ايطاليا أنشئت سنة 707ق/م واستولي عليها الرومان في سنة 22ق م وضلت تابعة لهم حتى سقوط الدولة الرومانية،في ق9م استولي عليها الملك شرلمان 814م واستقلت في ق10م،واتخذت التجارة مهنة ونافست جمهوريتين بيزا والبندقية ثم نافست البندقية في سيادتها علي البحار وحاربتها وانتصرت عليها مرارا وبقيت سيدة البحارة الشرقية إلى أواخر ق14م ،ثم أخذت في التقهقر بسبب تفرق كلمة أهلها فقدت استقلالها وبقيت تدخل من احتلال إلى أخر، إلى أن ضمت إلى ايطاليا، نفسه، ص820.

[3]-رودس:جزيرة تقع في البحر المتوسط عند مدخل بحر ايجة جنوب غرب الأناضول اشتق اسمها من لفظ رودن اليونانية ومعناها الورد الحسن لحسن مناخها واعتدال طبيعتها ، نفسه، ص822.

-استغلت جنوه النزعات الداخلية بين الشراكسة والترك بين المماليك من ناحية ،وتحول أنضار المماليك إلى الشرق بسبب تيمورلنك من ناحية أخرى لشن هجمات متتالية على الإسكندرية وطرابلس.

-ارتفاع الأسعار (الغلاء) خاصة القمح والشعير، حيث عظم الضجيج في الأسواق من شدة الغلاء.

معظم الأراضي هجرت ولم تزرع وهذا راجع إلى أن النيل إذا قل عن الحد اللازم شرقت البلاد وفات أوان الزراعة، و إذا زاد عن الحد المطلوب اغرق البلاد ،ففي سنة 776هـ/1374م نقص مياه الفيضان فشرفت البلاد ووقع الغلاء بسائر الديار المصرية واعتبرت هذه السنة (الشراقي العظيم) لعظم ما حدث فيها من جفاف وغلاء،كما وانه تناقص عدد الفلاحين إلى درك رهيب بسبب الوباء خاصة الوباء الأسود، ومعظم هؤلاء كانوا يعجلون بالزراعة مما أدى إلى فساد الزر وع بسبب زراعتها قبل أوانها، كانت تتعرض إلى الديدان والفئران، وفي784هـ/ 1382م نجد ارتفاع الفيضان فهدمت العديد من المنازل وتقطعت الجسور حتى عجز الفلاحون عن سدها، أما بالنسبة لفساد الزروع فهو راجع الى:الدود الذي كان يتولد في الأرض حيث تعفن لكثرة ما يلقي فيها من البذور وروث الحيوانات، وبسبب الفيضان تكون الزر وع فريسة للدود، وكان البرسيم والقمح أكثر المحاصيل تعرضا للفساد وبعض المحاصيل كالخيار والبطيخ والقرع تعرض للجراد.

واهم أسباب أحداث الفساد والفناء في الزروع هي الفئران حيث صار يفرض القمح والشعير وهو في سنبلة .

الظروف الحيوية السيئة كانت سببا في فساد المحاصيل الزراعية خاصة في الشتاء .

ومن بين الكوارث الطبيعة التي نزلت بالفلاحين وكثرت الفناء في الثروة الحيوانية المساعدة في الزراعة وتوفير الطعام وتسديد الخراج.

تعددت أسباب هذه الكارثة أهمها انتشار الأوبئة بين الزراعة فقد كانت الفناء في الأبقار كارثة فادحة للفلاح لما يترتب علي موتها من توقف السواقي وتعطيل الزراعة الصيفية ،هذا إضافة للأمراض التي تصيب الدجاج،ويجب إن لا ننسي نحل العسل الذي كان يمثل جزءا من الثروة بالنسبة للفلاح ،وان موته يسبب عدم وجود المراعي أو بسبب الوباء كان يمثل كارثة في القرى[1].

[1].- بحر ،المرجع السابق،ص ص208/200

فساد الإدارة العامة أنذالك اضعف اهتمام الدولة لإدارة الاراضي الزراعية والثروة الحيوانية وبالتالي قلة الاستفادة من المنتجات الزراعية والحيوانية أسهم هذا الحال الإداري المتري في تراجع انتاجية ومردودية القطاع الزراعي بشقيه النباتي والحيواني ،ونتيجة لهذا انخفضت دخول الفلاحين ومن ثم هجروا العمل في الزراعة وهاجروا الى المدينة بحثا عن العمل والرزق.[1]

واجهت التجارة في عصر دولة المماليك جملة من المعوقات التي شكلت عائقا طالما اضعف العامل التجاري للدولة وفي مقدمة تلك المصاعب مشكلة القرصنة الأوربية .

جاءت الظروف السياسية الخارجية لدولة المماليك لتلعب الدور الكبير في التجارة العالمية ومع ذلك فقد صادفت عقبات كبيرة أعاقت تقدم الحركة التجارية أحيانا، بخاصة في مطلع القرن التاسع للهجري (15م) اثر مهاجمة تيمورلنك لبلاد الشام واستباحه حلب ودمشق، الأمر الذي عطل طرق القوافل الداخلية الآتية من أسيا ألصغري وفي الخليج العربي وجعل المماليك يشحذون إمكاناتهم المالية والاقتصادية لصد زحف تيمورلنك.

أعمال القرصنة التي كان يقوم بها الأوربيون علي السفن المملوكية أو الإسلامية أو علي سفن بعضهم البعض ،ففي سنة 790هـ/1322م اسر الجنيويين سفينة كانت تنقل أقارب الظاهر برقوق القادمين إلي القاهرة ،فرد السلطان بالقبض علي جاليتهم وأودعهم السجون ولم يلبث الجنويين أن أرسلوا أقارب برقوق ومعهم هدية إلي السلطان فقبلها وأفرج عن جاليتهم .

لم تكن جنوه تستطيع منافسة البندقية في تجارة البهار في الأسواق الأوروبية من اجل ذلك أرسل بوسيكو حاكم جنوا حملة حربية سنة 806هـ/1403م إلي مصر للانتقام من المماليك الذين سيطروا علي التجارة العالمية بالاشتراك مع البنادقة ،بعد أن أضحي مركزها في المتوسط ثانوي إذا ما قيس ببيروت والإسكندرية وعلم السلطان فرج بأمر الحملة واستعد لملاقاة المهاجمين واسر من لم يستطع الفرار من التجار الجنويين عند ذلك حول الحملة بيسكو إلى الساحل اللبناني وهاجم بيروت وطرابلس وصيدا واحرق الفنادق التجارية بما فيها فنادق البندقية واحتج قنصلهم وهدد السلطان بترك الأراضي المملوكية تجاريا على أن يعود محاربا فلم يأبه السلطان بتهديداته ويبدو أن السلطان كان متأكد لان لاغنى للبنادقة عن التجارة الشرقية لذلك كان

[1]–اسامة السعيد،" **استقراء الأفكار النقدية عند المقريزي** "، المرجع السابق، ص34.

يتذرع بأي عمل يقوم به القراصنة كي يصادر أموال التجار لإغناء خزانة التي كانت فارغة ولما لم يجد الجنويين بدلا من العودة إلى التجارة مع المماليك اشتروا من السلطان الصلح من السلطان بمبالغ كبيرة.

ازدياد مصاريف الدولة وغش النقد وذلك لاعتماد المماليك على تجارة عشوائية دون أن يحددوا الأطر العريضة لها غير مبالين لما يلحق بالتجار المحليين الذين اعتادوا على جلب السلع من الشرقي كانت تنتج محليا ودون أن يستطيعوا توسيع تجارتهم خوفا من الاحتكارات السلطانية والمصادرات الجماعية كل ذلك أدى إلى أحداث خلل عام في الاقتصاد المملوكي على الشرق الأقصى بأسعار بخسة وبيعها بأثمان مرتفعة دون مراعاة للسلع.[1]

العملـة: إن ظاهرة نقصان الفضة غدت مشكلة جميع الناس في عصر المماليك البحرية وما ان دخل عصر المماليك الشراكسة 784هـ/930هـ حتى كان للنقود دورا في إرباك الوضع الاقتصادي بسبب تعدد العملات ليس الإسلامية فقط بل حتى الأجنبية مما أدي إلي تباين أقياسها وبالتالي دخول الزيف عليها ثم سيادة الفلوس النحاسية كعملة للتداول اليومي علي حساب الدينار الذهبي والدرهم الفضي.

1-**العملات الذهبيـة**:لقد ظهر في هذا العصر ست عملات ذهبية يأتي في مقدمتها الدينار الهرجة وهو الدينار الإسلامي الخالص من الغش،وكانت قيمة عشرون درهما في بدء عصر المماليك الشراكسة ثم اخذ بالارتفاع حتى وصل إلي ثلاث مائة درهم في جمادي الأخر سنة 807هت/1404م.

منذ عام 1388/790م غزت أسواق الشرق عملة أجنبية الأولي الدينار ألبندقي نسبة لمدينة البندقية الايطالية ،وسمي الدوكة او الدينار المشخص او الإفرنجي وما إن حل 800هـ/1397م حتي سيطر على أسواق القاهرة فصار هو النقد الرائج حيث وصل منه أواخر القرن 8هـ/14م 600000 دوقة وتضاعف هذه العملة ثلاثة إضعافها في القرن 9هـ/15م.

أسباب تفوق الدينار ألبندقي على الهرجة المملوكية:

دقة الاستدارة التامة ،الوزن الثابت 3.45مغ والعيار المرتفع للدينار ألبندقي هو الذي مكن غلب علي النقود المملوكية المختلفة الوزن والعيار،سهولة التعامل به لأنه بالعدد على خلاف النقود المملوكية التي كانت بالوزن

[1] -اسراء مزيان مهدي ، **نشاط ومعوقات التجارة في عصر المماليك 698هـ-923هـ/12580-1517م**، مجلة واسطة للعلوم الانسانية ، العدد12، كلية التربية ، جامعة واسطة،د ب ن ، ص188.

اخذ بالارتفاع من 25الى 28نهاية القرن 8هـ/14م حتى بلغ 28 دوكة 833هـ/1329م،وقد كان الدينار الهرجة يزن 4.25مغ في حين كان ألبندقي يزن 3.45مغ أي اقل نسبه بثمانية غراما إلا أن سعر صرفهما يتقارب فكان الهرجة في سنة 803هـ/1400م 30درهما والبندقي يساوي 29درهما ،إذن النقدان في حالة تنافس ،ولما كان الدينار الهرج هو النقد الجيد ،والبندقي هو الرديء إذا طبق القاعدة النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة من السوق واجه الهرج تحدي البندقي وفي محاولة من الحد من ذلك أمر السلطان الناصر فرج وزيره[1] وضربت في شهر جمادي الأول سنة 803هـ ديسمبر 1400م لابطال المعاملة بالدنانير الافرنجية المستحظة وقد أطلق على كل دينار من هذه الدنانير لفظ السالمي نسبة إلى الأمير بلبغا السالمي وتعامل الناس به بالعد وليس بالوزن حيث بلغ سعر الدينار منها أربعة وعشرون درهما وقد ضرب من هذه النقود الذهبية خمسة طرز .[2]

ولما كان الدينار السالمي أفضل عيارا من ألبندقي لذا فشل في مواجهة الأخير طبقا للقاعدة الاقتصادية ان النقود الرديئة تطرد الجيدة من السوق مما دعا السلطان فرج لإلغائه بعد ثماني سنوات 803هـ-811هـ/1400م-1408م وان كان استمر حتى 1410م.

وعلى اثر فشل الدينار السالمي في الوقوف بوجه ألبندقي [3]يذكر المؤرخون ان الدينار الناصري ضرب 811هـ /1400م كمحاولة من جانب فرج برقوق التصدي لهجوم التوكات البندقية على النقود الذهبية ،وتم التعامل به بالعد وليس بالوزن لانه كان يزن نفس وزن الدوكة ،لذا تم تداوله هو والدوكة على قدم المساواة غير ان الناصري فشل في مواجهة الدوكة البندقية ويوجد من الناصري اربعة طرز[4] وكمحاولة ثالثة من السلاطين الشراكسة للحد من ذلك قرر السلطان الاشرف برسباي قرر إلغاء الدنانير البندقية وإعادة سك دنانير جديدة سميت بالاشرفية وتم ذلك في 26صفر 829هـ/كانون الثاني 1426م.

---

[1]-جواد كاظم منشد النصر الله ،**دور النقود في الأزمات الاقتصادية في مصر في العصور الإسلامية** ،مجلة كلية التربية الأساسية ،جامعة بابل عدد خاص المؤتمر العلمي السنوي الثالث لكلية التربية الأساسية 2009/5/6العدد الثاني آذار 2010،ص،ص 105،99.

[2]-رافت محمد النبراوي،السكة الإسلامية في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة،ط1،دت ، مركز الحضارة العربية والنشر

[3]- كاظم ،نفسه، ص106

[4]-النبراوي، نفسه، ص61.

كانت الدنانير الاشرفية اقل جودة من البندقية حيث كان عيار الاشرفي 3.11مغ أما ألبندقي 3.51مضافا لذلك إن نسبة الذهب في الاشرفي 97فقط، فأصبحت الاشرفية العملة الرديئة مما مكنها من طرد الدنانير البندقية التي مثلت هنا العملة الجيدة ،وبهذا عادت السيادة للعملات الإسلامية منذ 829هـ/ وحتى نهاية عصر الجراكسة ،وكان سعر صرف الاشرفي بدا 225درهما ووصل الى285درهم في 845هـ/1442م ثم ارتفع إلى 360درهما سنة 856هـ ،ولقد كان لخفة النقود البندقية وبالتالي قلة الثقة بها سببا في نجاح الدينار الأشرفي .[1]

وانخفاض سعر الذهب بمصر في العصر المملوكي الشركسي إنما يرجع إلى عدة أسباب منها:محاولة السلطان تغيير المعاملة بالفلوس وجمعه أعدادا كبيرة منها وضربها فلوسا جددا ،ومنها أيضا كثرة وجود معدن الذهب وندرة الفلوس كما حدث في سنة 821هـ.[2] وقد عولج الأمر بإنزال مليوني درهم فضة للمصارف ،لكن هذا العدد لم يسد الحاجة وذلك لارتفاع سعر الذهب ،مما دفع الباعة برد الذهب لقلة الدراهم سنة 741هـ مما دفع الدولة إلى اللجوء إلى ما يسمي سعر الله أي ترك العملات بلا تسعير

العملات الفضية: تعددت العملات الفضية في هذا العصر رغم قلتها لعدم ضربها وسكها محليا ومنها الدراهم الكمالية التي ضربها الكامل الأيوبي على اعتبار أن ثلثها فضة وثلث نحاس وكانت قيمتها كل 23درهم وربع يساوي دينار واحد ،ثم انخفض سعرها إلى 40درهما والدرهم يساوي 48فلسا وانخفض إلى24فلسا ،ولما الغي في الأول محرم 806هـ/1403م التعامل بالفضة وأصبح التعامل بالفلوس فأصبح السعر الدرهم يساوي درهم وثلاثة أرباع الدرهم فلوسا ثم اخذ بالارتفاع حتى وصل سبعة دراهم فلوس ومن الدراهم العصر الدراهم وهي التي تضرب ولم تغش وتسمي الخالصة وقد بدا سعر الدرهم منها يساوي 4دراهم فلوسا ثم ارتفع إلى 13درهما[3].

الفلوس النحاسية:تعد الدولة الأيوبية أول دولة في تاريخ مصر الإسلامي تستخدم النحاس لضرب عملة جديدة عرفت بالفلوس استخدمت لشراء الحاجيات البينة القليلة القيمة، ولما جاء المماليك استمروا على منهج الأيوبيين في الاعتماد على العملات الثلاث، لكنهم جعلوا ضرب النقود غير مركزي سنة 650هـ

[1]- كاظم ،المرجع السابق ،ص113.

[2]-بحر، المرجع السابق، ص 35.

[3]- كاظم ،المرجع السابق ،ص، ص 99 119.

وذلك بضمان عامل مقابل 25الف درهم ،ولما كان لهم ذلك العامل الربح المادي لذا قلل العامل وزن الدرهم من 48الى 24 فلسا مما أدى لارتفاع الأسعار وضعف القيمة الشرائية.[1]

تطورت الفلوس النحاسية عبر ثلاث مراحل:

المرحلة الأولي :ظهرت كنقود مخصصة كمحفزات المبيعات وهي التي تقلت عن أن تباع بدرهم أو جزء منه ،فقد كانت تلعب دورا مساعدا للدينار والدرهم وكانت قليلة العدد ولا تد نقدا كالدنانير والدراهم ،وضربت في أيام الكامل أبو بكر محمد الأيوبي لضرورة استعمالها فيشترون بها المأكولات ويدخلون بها الحمامات.

المرحلة الثانية:بقيت الفلوس الكمالية في التعامل إلى سنة 650هـ وسعيا لتحقيق الفائدة لبعض موظفي الدولة الكبار ضربوا فلوسا كل منها يزن مثقالا أي يوزن الدينار والدرهم فنقل ذلك على الناس ولكنها لا تستعمل .[2]

المرحلة الثالثة: في عهد الملك الظاهر برقوق استكثر من الفلوس وسارت الفرنج تحمل النحاس الأحمر عنه في فائدة واستمر الضرب في الفلوس عدة أعوام و الفرنج تأخذ منها مصر من الدراهم إلى بلادهم وأهل البلد تسكبها الطلب لفائدة حتى عزت وكادت تفقد وراجت الفلوس رواجا عظيما حتى نسب إليها سائر المبيعات وصار يقال كل دينار بكذا من الفلوس [3].وقلت الدراهم بسبب عدم ضربها ،فمات الظاهر والناس ثلاثة نقود أكثرها الفلوس وهو النقد الرائج والغالب ،وأما الذهب فقليل والفضة اقل تحتي بطل التعامل بها لعزتها وصارت المبيعات وقيم الأعمال كلها تنسب إلى الفلوس خاصة فدهى الناس بسبب ذلك داهية اذهب المال ،وأوجبت قلة الأقوات وتعذر وجود المطلوبات اختلاف النقود.[4]

ومن سلبيات عدم مركزية ضرب النقود خروج كميات من النقد الخفيف الغير مرغوب في التعامل فيه منذ 693هـ/1265م، فاضطر المسئولون لجعل التعامل بالفلوس ميزانا وليس عدا مما أدى إلى ارتفاع الأسعار.

---

[1]- المغلوث، المرجع السابق، ص128.

[2]- سعيد ،المرجع السابق ،ص 39.

[3]-تقي الدين المقريزي، رسائل النقود الإسلامية (شذوذ العقود)، دط، مطبعة الجوانب ،قسطنطينية،1298هـ-1881م ،ص72.

[4]سعيد ،المرجع السابق ،39.

في سنة 705هـ/1306م، امتلاء السوق بالنقود المزيفة ،مما أدى إلى ارتفاع الأسعار خاصة القمح من 200 إلى 400درهم للإردب الواحد ولمعالجة ذلك ضربت فلوسا جدد ،إما الفلوس الخفاف الرطل منها يساوي درهمين ونصف الدرهمين مما أدى لإنعاش الوضع لقد استمرت عملية تحقيق النقود إلى أن صار الفلس يساوي سدس الدرهم فاختلطت هذه الفلوس الرديئة بالجيدة.[1]

عهد المماليك إلى غش النقود للحصول على أموال إضافية من فارق النقود القديمة بالنسبة للنقود الجديدة وتعمدوا تحقيقا لغايتهم ،عدم ضرب الدراهم الفضية مما أدى إلى رخص الدراهم النحاسية ،فكان ذلك من أسباب التضخم المالي في العصر المملوكي ،فبعد أن كان الدينار يزن 4.25 غ ،نقص في بداية الدولة المملوكية الثانية إلى 3.5 غ فقل استعمال الناس للدراهم الفضية لندرتها ولإقبال الصاغة على جمعها واستعمالها في الصناعة وجاءت الدراهم النحاسية شبه خالية من الفضة وانخفضت قيمتها.[2]

[1]-المغلوث ،المرجع السابق ،ص128.

[2]-شفيق عواد عبد الكريم عرار:سكان فلسطين في العهد المملوكي ،رسالة ماجستير قدمت لاستكمال المتطلبات درجة الماجستير في التاريخ العربي،تحت إشراف الدكتور محسن يوسف ،كلية الدراسات العليا ،جامعة بيرزيت ،فلسطين،2003م-2004م،ص،.26

➢-الفصل الثاني: الوضع الاجتماعي والانعكاس الاقتصادي عليه.

1-طبقات المجتمع

2- الأسرة المملوكية

3-الأعياد الدينية والاحتفالات الاجتماعية

4-الانعكاس الاقتصادي على الوضع الاجتماعي

1 : الجانب الاجتماعي.

خلق الله سبحانه وتعالى الناس وجعلهم أمما وقبائل ليتعارفوا، وتكون بينهم علاقات شتى وهذه فطرة الله التي فطر الناس عليها ،فلا مفر إذن من التأثير والتأثر بين أفراد المجتمع الواحد والمجتمعات المتعددة إذا وجدت الصلة والعلاقات المتبادلة لذا عرف المجتمع بأنه نسيج من العلاقات الإنسانية المتداخلة أو المتفاعلة بعضها مع بعضها الأخر ،وقد كانت بنية المجتمع المملوكي طبقية وتتألف من عدة طبقات تختلف من طبقة إلى أخرى في صفاتها وخصائصها ومظاهرها ومكانتها في الدولة والمجتمع ، وهذا راجع لطبيعة حكم المماليك الأغراب عن تلك البلاد ،وانعزالهم عن أهل البلاد وانخراطهم في سلكهم أدى إلى تكوين الطبقات في المجتمع كما وانه كان الفارق كبير بين الحاكم والمحكوم بحيث حكم المماليك الدولة والمجتمع عسكريا ،حتى أن المماليك ظلوا طبقة مختلفة عن سائر السكان في مصر إلى درجة أنهم لم يتزوجوا منهم واختاروا زوجاتهم وجواريهم من بنات جنسهم اللواتي كن يجلبن من قبل التجار ،هذا الأمر أدى إلى تعدد في تكوين الأسر المختلفة في المجتمع بالإضافة إلى تعدد في الاحتفالات التي شهدها المجتمع أنذالك ومن خلال هذا المبحث حاولنا الإلمام بهذه الجوانب .

1- طبقات المجتمع المصري:

ينقسم المجتمع المملوكي إلى سبعة أقسام حسب ما جاء به المقريزي في كتابه إغاثة الأمة في كشف الغمة وكان المجتمع يتكون من السكان المحليين والسكان الوافدين :

1-السكان الأصليين:

1-**رجال الدولة**:هم طبقة عسكرية ممتازة استأثروا بالكم وشؤون البلاد ونظروا إلى فئات المجتمع وطبقاته بأنهم اقل منهم درجة ،فلا ينبغي لهم أن يشاركوهم في شؤون الحكم ،وإذا سمح لهم بمشاركتهم فيكون على نطاق ضيق ومحدود ،كما وان الشواهد التاريخية تثبت أن المماليك لم يكونوا جميعا من أصل واحد ،وبقوا طبقة منفصلة عن سائر السكان العامة في مصر والشام[1]،ويذكر المقريزي في كتابه ان الأموال كثرت بأيديهم لما كانت قبل المحن وهذا راجع لما يتم حصول

[1] -اماني بنت سعيد الحربي،مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنيين السابع والثامن الهجريين13-14م ،رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ،1436هـ-2015م،جامعة أم القرى،ص،ص،169-171

عليه من خارج الأراضي(مبالغ الخراج تزداد)،و نقصت أموالهم مقارنة بما كانت عليه لأنها كانت دراهم الآن (ألف مثقال من الذهب) وألان صارت مئة ألف درهم فلوس وهو اقل من الذهب أي 100الف درهم من الفلوس تعادل 660مثقال من الذهب.[1]

2-التجار :لقد شكل التجار فئة هامة في بناء المجتمع المصري في عصر المماليك وكان النشاط التجاري بين الشرق والغرب سببا مباشرا في ازدياد ثراء هؤلاء وجعلهم طبقة غنية إلى حد كبير ،الأمر الذي جعل السلاطين يقربونهم إليهم،وقد تمتعوا بمكانة كبيرة وبارزة في مصر خلال عصر المماليك،لكن هذه المكانة جعلتهم محل أطماع السلاطين الذين كانوا يفرضون عليهم الرسوم ،ومن هذه الرسوم ما كان يؤخذ من التجار عند خروج الجند للغزو وأحيانا في حالة الحرب المفاجئة ،كما وان السلطان كان يقوم بمصادرة نصف أموالهم أو ثلثها كما حدث مثلا في سنة 803هـ/1401م ،الأمر الذي دفع التجار إلى التذمر منها[2] ويذكر المقريزي أن سوء تدبيرهم هو الذي أدى إلى خسارتهم.

3 -أصحاب البر والأرباب [3](العوام):اكتظت المدن في مصر في عصر المماليك بجمهور كبير من الباعة والسوقة والسقاءين والماكرين والمعدمين أو أشباه المعدمين وألحقت بهم طائفة الزعر والحرافيش (طائفة كبيرة من أهل الصلابة والجاه والدعارة) [4]المعاش يعيشون مما يدخرون من الأرباح.

4-أصحاب الفلاحة والحرث[5](الفلاحون):شكل الفلاحون السواد الأعظم من أهل البلاد وعلى ما يبدو أن نصيبهم في المجتمع المملوكي لم يكن سوى الاحتقار والإهمال، وقد أثرت هذه المعاملة في نفوس أهل الريف ،حتى أصيبوا بالشعور بالنقص ،ولم يكن للفلاح في العصر المملوكي من الأرض التي يفلحها ويخدمها سوي القليل من خيراتها ،لان أراضي مصر الزراعية في تلك الفترة

---

[1] المقريزي ،إغاثة الأمة،المصدر السابق،ص147.

[2] عماد ديب،**فئات المجتمع المصري في العصر المملوكي 684هـ-1250م/923هـ-1517م**،مجلة جامعة البعث ،المجلد 38،العدد 52،2016،كلية الآداب،جامعة البعث،ص،ص،58،57.

[3] المقريزي إغاثة الأمة...، المصدر السابق، ص148.

[4] - الحربي ،المرجع السابق ،ص175.

[5] المقريزي ،إغاثة الأمة ...،المصدر السابق، ص150.

كانت موزعة بين السلاطين والأمراء ومماليكهم وأوقافهم ،لذلك كان الفلاح لا يجد ما يستر به عورته وان كان له الأكل الفاخر فان أفخره كان الشعير والجبن القريش والبصل ،والأمر الذي زاد الطين بله للفلاحين هي كثرة المغارم والمظالم التي حلت بهم نتيجة ظلم بعض الولاة والحكام ومثال عن المظالم التي تذوقها الفلاحين:ما حدث سنة 816هـ/1413م عندما قام احد الأمراء بجولة علي قري الصعيد ،فنهب البلاد التي مر بها واستولى على ما فيها من غلال ،حتى انه سلب النساء حليهن وكسوتهن وعاد إلى القاهرة تاركا وراءه دمارا.[1]

5-الفقهاء وطلاب العلم العلماء(أهل العمامة) :هم أصحاب الوظائف من الفقهاء والعلماء والأدباء ولها مميزات في عهد المماليك ،استعان بهم السلاطين المماليك لإرضاء الشعب الذي وجدهم غرباء عنه وقد استفاد منهم السلاطين لتوثيق علاقتهم ومد جسور التقارب مع الشعب[2]،وكما قال المقريزي في كتابه كشف الغمة بإغاثة الأمة فهو مابين ميت وما اشتهى الموت لسوء ما حل بهم ،بالإضافة إلى بعض الشهود (الموظفين)والكثير من أجناد الحلقة. [3]

6- طبقة الصناع وأرباب الحرف : بفضل جهودهم في التصميم والصيانة والترميم والزخرفة تعددت الحرف والصناعات التي تعكس طبقة المجتمع واتجاهاته فبعضها ارتبط بالحياة اليومية كحرفة الغذاء وبعضها الآخر ارتبط بحركة التشييد والبناء وقد انتظم أرباب هذه الحرف والصناعات في طوائف مختلفة وكان لكل طائفة رئيس يسمى شيخ ،ومن يشتغل هذا المنصب لابد من توافر شروط فيه ،وهو أن يكون أكثر أفراد الطائفة خبرة بالصناعة واكفائهم في إدارة أمور الحرفة وكان هذا الشيخ يهيمن على أصحاب الحرفة وهو الذي يجيز للصائغ مزاولة عمله بعد اختياره ،وكان يتخذ معاونين وكان يساعد المحتسب في رقابة الصناع ويرشده إلى أساليب غشهم ،وقد تكونت الطائفة من النقيب والمعلم والاسطي وأخيرا المبتدئ او الطبي وكان لكل طائفة لائحة تنظم ترقية أعضائها من درجة إلى درجة أخري. [4]

---

[1]- ديب ،المرجع السابق ،ص،ص،63-65.

[2]- الزيدي، المرجع السابق ،ص222.

[3]-المقريزي ، إغاثة الامة... ،المصدر السابق ، ص150.

[4]- فهمي عبد العليم ،العمارة الإسلامية في عصر المماليك الشراكسة عصر السلطان المؤيد شيخ ،ادط ،دت ،المجلس الأعلى للآثار وزارة الثقافة ،ص،23.

7-أهل الخصاصة والمسكنة :فني معظمهم جوعا وبردا إلا القلة القليل.[1]

-السكان النازحين والوافدين:

1- أهل الذمة (النازحين):اليهود الذين اقطعهم الله في الأرض أمما أربع فرق وكل فرقة تخطئ الفرق الأخرى طائفة الربانيين ،طائفة القرائيين ، العنانية، السّمرة وهذا الاختلاف حدث لهم بعد تخريب البيت المقدس وعودتهم من ارض بابل إلي القدس وكانت من جملة فرقهم طائفة يقال لها المعتزلة يؤمنون بالتوراة وهم احدي فرق اليهود المؤمنين بقيام الموتى ويصمون يومين في الأسبوع .

أ:طائفة الربانية يقال لهم بنوملشنو(الثاني)وهي فرقة كانت تعمل بما في المشتا الذي بطبرية بعد تخريب القدس وتحول في الشريعة علي ما في التلموذ.

ب: القراء بنو مقرا (الدعوة)ويقال لهم أصحاب الدعوة الأولي وهم يحكمون نصوص التوراة ،وهم مع الربانيين من العداوة.

ج-العنانية:ينتسبون إلى عانان،رأس الجالوت ،الذي قدم إلى المشرق أيام الخليفة أبي جعفر المنصور ،ومعه نسخ المنشا، الذي كتب عن الخط ما كتب من خط النبي موسي عليه السلام يخالف طائفة الربانيين والقرائيين، اثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقال:هو نبي أرسل إلى العرب إلا أن التوراة لم تنسخ ،والحق انه أرسل إلى الناس كافة.

د-السّمرة:طائفة ليست من إسرائيل ،وإنما هم قوم قدموا من بلاد المشرق وسكنوا بلاد الشام وتهودوا ،ويقال أنهم شعب من شعوب الفرس خرجوا إلى الشام ،وهم ينكرون نبوة داود ومن تلاه من الأنبياء عليهم السلام ،وأبو أن يكون بعد موسي عليه السلام نبي[2]

2-الوافدين::وهم الشرائح الاجتماعية التي شكلت عددا كبيرا من سكان القاهرة المملوكية وهم عدة جماعات وكان لهم مجموعة من الاسباب لتشكلهم ومن بينهم:

أ:أرباب العلم والمعرفة: ومن دوافع نزوحهم :

- أصبحت القاهرة أهم صرح للثقافة والحضارة العربية
- صعوبة نقل العلم تلقائيا مباشرا من الشيوخ

[1]-المقريزي ،إغاثة الأمة ...،المصدر السابق ،ص150.

[2]-تقي الدين المقريزي،تاريخ اليهود وأثارهم في مصر،تح ، عبد المجيد ديب،دط ،دت ،دار الفضيلة ،ص،ص 115-120.

– فرصة الانخراط في فئة أهل العمامة أو أرباب الأقلام.

–انتشار الفقر واليأس من الحياة.

ب:ارباب الحرف: دوافع نزوحهم تمثلت في :

– كثرت المظالم والمغارم ،وتوقف الإنتاج في الكثير من المناجم.

– التضخم الاقتصادي وتدهور الكثير من الصناعات ،وتعطيل كثير من مصايد الأسماك،عند الإنتاج من برك وبحيرات. –الفلاحين:تزايد الأعباء المالية ،ارتفاع قيمة إيجار الفدان من الأرض.

– تزايد كلفة العمليات الزراعية من حرث وحصاد.

–التجار:انتعاش التجارة في القاهر ة لما لا علاقات مع آسيا وإفريقيا.

–الرغبة في تحقيق أرباح أوفر ،ارتقاء مكانة ارفع بين التجار.[1]

–طبقة أولاد الناس:استأثر المماليك بالمناصب العليا في الجيش ،وكان لهم وحدهم حق الحكم والإدارة نظرا لقيامهم بحماية البلاد ضد التهديدات الخارجية والقلاقل الداخلية، وفي نطاق هذه الطبيعة الحاكمة يمكن أن تضم طبقة أولاد المماليك أو ما يطلق عليهم اسم أولاد الناس وهم الذين ولدوا أحرار ،بالرغم من الثروات الكبيرة التي تركها لهم إباؤهم إلا أنهم ثم ينهجوا منهج آبائهم في تولي المناصب العسكرية وانصرفوا إلى اتجاهات ونشاطات أخري ثقافية وقد برز منهم في تلك الفترة أسماء لامعة من الكتاب منهم خليل بن شاهين الضاهري وابن ثغري بردي وغيرهم[2].

2– :الأسرة المملوكية.

الأسرة: إذا كان الزواج اللبنة الأولي في بناء الأسرة فان الأسرة هي أساس المجتمع السليم. وكانت الأسرة المصرية في العصر المملوكي أنواع أهمها:

[1]–علي السيد علي ،بحوث في التاريخ من العصر المملوكي،ط1،المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ،2014م ،ص،ص،177–183.

[2]– عبد العليم، المرجع السابق ، ص20.

1-أسرة علية القوم: المماليك لم تكن له حياة عائلية بالمعني المعروف رغم أنهم حاولوا تكوين أسرات، ذلك أن أسلوب المماليك في الحياة لم يقم على أساس وحدة الأسرة بأركانها المعروفة (الأب ، الأم ،والأولاد) بقدر ما قام علي أساس الرقيق الذين أحلو في نظام محل الأبناء ودليل ذلك أن الأمير لا يأكل مع أبنائه أو حريمه،وإنما بفضل الأكل مع مماليكه،وقد أصبحت العائلة لطبقة المماليك لا تقوم على علاقة بين الرجل وزوجته وأبنائه،وإنما تقوم على أساس العلاقة بين الأمير ومماليكه أو بين المملوك وأستاذه.

وقد كان لتعدد الزوجات أيضا دور في إضعاف الروابط الأسرية إضافة إلي الشذوذ الجنسي الذي ابتلي به المجتمع المصري في عصر السلاطين المماليك كان له أثره الفعال علي العلاقات الزوجية وهكذا أصبحت الحياة الأسرية ليسودها طابع التفكك والجمود والسطحية،غير انه من الخطأ أن نرمي اغلب رجال هذه الطبقة بالانتانية وحب الذات ،حيث كان هناك عدد من الرجال ممن حاولوا التعبير عن عواطفهم نحو نسائهم وأبنائهم (فقد حزن الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان المؤيد الشيخ علي وفاة زوجته فوند بن الناصر فرج بن برقوق).غير أن في عصر المماليك كان للام كل الاحترام من أبنائها.

الحريم السلطاني كان أعظم ميادين السحر ولذلك نجد تعدد زوجات السلاطين.[1]

2-الأسرة عند عامة الناس: لم تختلف الأسرة في طابعها العام عند الأسرة الإسلامية فهي تتكون من الأب، الأم ،الأولاد ،فالأم والأولاد يحترمون الأب ، فالأب هو صاحب السلطة العليا في الأسرة.

-ومن المعتاد في حياة الأسرة خروج الأب للعمل وتقوم الزوجة بشؤون المنزل وربما تخرج للسوق لشراء ما تحتاجه ،واعتنى الآباء بتربية أبنائهم وتعليمهم ،فإذا بلغ الولد الرابعة آو الخامسة كانوا يرسلونه إلى مؤدب الأطفال ،أما الإعمال المنزلية التي تقوم بها الزوجة هي الغسيل والتنظيف وأما الأطعمة فقد اعتادوا عدم الطهي في المنازل إلا للضرورة ،أما المرأة الريفية فقد كانت تساعد زوجها ،فقد كانت تقوم بالأعمال المز رعية وإعداد الطعام وإخراج الجبن والزبدة وغزل الصوف

[1] -محمود سليمان امنة الرواشدة، حيوات المراة في العصر المملوكي ،رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، جامعة اليرموك 1997 ،ص ص 114-116.

ونسجه،والعلاقة بين الزوجين حب الزوج لزوجته وحزنه عليها إذا توفيت ورثائها ببعض الأبيات الشعر، والآخر يتمثل في الخلافات بينهما بسبب الفقر ،ضيق العيش وكثرة الأولاد والكثير من الرجال كان يشكو من زوجته لأنها كثيرة المطالب وكثيرة الشكوى فهن لا يرضين بأي حال ووجد من الآباء من يكره الإنجاب البنين بسبب الفقر والانحطاط الأخلاقي الذي كان يعاني منه المجتمع نتيجة كثرة الجواري،وهذا لا يعني كره الأب لابنته فقد كانت مشاعر الأبوة

تظهر في مواقف مختلفة ،يدل على حب البنت تلك الألقاب التي كانت تلقب بها والتي تدل على الفخر والاعتزاز والتزكية مثل ست الكل ،وست الناس ،وقد كان هناك من يوصي على ابنته ويوقف الأوقاف عليها وهذا بسبب الخوف من حرمان البنت من الميراث ،وألام تحب ابنها وتدعو له دائما وهو كذلك وهناك من كان يفتخر بنسبه لامه أكثر من نسبه لأبيه[1].

2-المرأة ومكانتها الاجتماعية في العصر المملوكي: احتلت المرأة مكانة بارزة وهمة عالية ،وكانت شجرة الذر أم خليل بن صالح أيوب في السلطنة 1250م وقد قبضت على زمام الأمور في مصر بيد من حديد ،فقد وصفها ابن إياس بأنها امرأة من حديد صعبة الخلق شديدة الغيرة ،قوية البأس ذات شهامة زائدة ،وحرمة وافرة سكرانة من خمرت النية والعجب كان لها الفضل في إخفاق حملة صليبية على مصر،أول ملكة على مسلمة جلست علي العرش مملكة إسلامية[2] تمتعت المرأة بقسط وافر من الاحترام سواء داخل طبقة المماليك الحاكمة أو عند سائر طبقات المجتمع ،تجلت العديد من الألقاب مثل بركة الدولة وبركة الملوك،جلال النساء ذات الحجاب المنيع وغصت الإسلام وقرع الشجرة الزكية،وغيرها من الألقاب .

والواقع أن الاحترام الذي تمتعت بيه المرآة في عصر المماليك لم يقتصر على نساء السلاطين وأمرائهم،بل احترام عامة الشعب المصري في ذلك العصر لنسائهم وأطلقت عليها العديد من الألقاب مثل ست الخلفاء ، ست العلماء ،وست الناس .....وغيرهم.

ومن المبالغة علي أن نتصور المجتمع المصري ف يعصر المماليك قد قدر المرأة علي طول الخط ،فهناك من المصادر فيها من الاستهتار والعبارات ما يقهم منه إن المرأة ظلت في نظر

[1]- الرواشدة ،المرجع السابق ، ص،ص106-116.

[2]-احمد مختار العبادي،التاريخ الأيوبي والمملوكي ،دط ،دت ،مؤسسة شباب الإسكندرية ،ص،116.

البعض محل الازدراء والاستخفاف وأداة متعة واستغلال ،وكذلك وصل ببعض السلاطين المماليك إلى ضربها وتشهيرها ،بل تعدي الأمر إلي قتلها ، لم تكن الجواري أيضا بمعزل عن الأذى والامتهان نتيجة لوضعهن الاجتماعي واعتبارهن سلعة لصاحبها مطلق التصرف فيها[1].

إلا أن المرأة لعبت دورا مهما في جوانب مختلفة من حياة المجتمع المصري ،فكانت بمثابة خاطبة حيث كان لها أهمية في إكمال مشاريع الزواج ولها دور أخر البلانات وهي النساء التي تعمل في حمام النساء ،كذلك الماشطة تهتم بتزيين النساء الصائغة تقوم بعمل الوشم،ووجدت في العصر المملوكي أسماء كثيرة من المغنيات مع وجود إشارات تدل علي مكانتهن في المجتمع ، فكانت تسمى الريسة من أعيان مصر ولها إنشاد لطيف[2].

اهتم الناس في العصر المملوكي وغيره من العصور بالموسيقي والغناء بكل أنواعها ، و ارتفع شان الغناء في العصور المختلفة بصفة عامة وعصر السلاطين المماليك بصفة خاصة.

ولم يقتصر نصيبها في الحياة العامة في التدخل في بعض شؤون الدولة وإنما شاركت أيضا في النشاط العلمي والديني فكثيرا منهن اشتغلت في ذلك العصر بالنحو والفقه والحديث بل خفض الشهر،وظهر في ذلك العصر إقبال بين النساء على مجالس العلم والدين فحرصت كثيرا منهن علي الذهاب إلى المساجد لسماع الدروس الدينية .[3]

[1]–احمد عبد الرازق ،المرأة في مصر المملوكية ،دط ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1999،ص ص 16–27.

–رشا فاضل كاظم،**من مظاهر الحياة الاجتماعية لمصر في عصر المماليك**،جامعة الكوفة ،كلية الآداب ،مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية ،العدد19،2019، د ب ن ،ص،354. [2].

[2]–أمال سامي مخيف ،اثر المرأة في المجتمع المملوكي في مصر،جامعة القادسية،كلية التربية ،قسم التاريخ،2018،ص،29.

[3]– فاضل كاظم، المرجع السابق، ص352.

وقد أسهمت في إثراء الفكر العربي الإسلامي من خلال مشاركتها في الحياة العلمية الي جانب العلماء والمفكرين، فبرز نشاطها في إقبالها علي مجالس العلم والدين علي يد رجال الدين ومنهم الشيخ شهاب الدين احمد المصري1416م.

3- الأعياد الدينية والاحتفالات الاجتماعية:

أولا -الأعياد الدينية: امتازت الحياة الاجتماعية في مصر بكثرة الأعياد الدينية والقومية والمبالغة في إحيائها ،ففي الأعياد ذات الصبغة الدينية كانوا يتلقون التهاني ،ويقيمون الولائم ويتصدقون عن الفقراء[1] مثل الاحتفال بشهر رمضان والاحتفال بدوران المحمل والاحتفال بعيد الفطر في نهاية شهر رمضان.

1-الاحتفال بشهر رمضان:يبدأ الاحتفال بشهر رمضان باستطلاع الشهر الجديد ،فكانت القاهرة في شهر رمضان تسبح في الضوء نتيجة الأنوار والمشاعل والشموع والفوانيس في الطرقات والأسواق وبأيدي الناس.

وكانت الأسواق القاهرية والأقاليم تزدهر احتفالا بهذه المناسبة ،وكانت بعض الأسواق مرتبطة بموسم شهر رمضان ومنها أسواق الحلوين وسوق الشماعين كانت تباع فيها كافة أصناف التماثيل السكرية ،وكانت تعرف باسم العلاقين لأنها كانت تعلق علي أبواب الحوانيت،وسوق الشماعين كانت تبا فيه الشموع المركبة (تستخدم في المراكب) ،أما الشموع الضخمة كانت تؤجر لكي تستخدم في موكب صلاة التراويح وبالنسبة للسحور يطوف المسحراتي بطبلته يدقها مناديا أصحاب البيوت ،وينادون عليهم قوموا كلوا.

2-الاحتفال بعيد الفطر وعيد الأضحى :ففي عيد الفطر كان بعض الناس يسهرون لتجهيز ملابسهم الجديدة حتى الصباح، يسهر الأتقياء منهم في الاستماع إلي القران الكريم والأذكار ،ومع طلوع النهار يتوجه الرجال لأداء صلاة العيد ،ثم تتبادل البيوت التهنئة بالعيد كما يتبادلون أطباق الكعك المصنوع في الأيام الخيرة من شهر رمضان ،فهناك من يشتريه ،وكانت الوجبة الأولي لغالبية

[1] عاشور،العصر المملوكي في مصر والشام في عصري الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق ،ص ص 289-290.

الناس في عيد الفطر من السمك المملح المشقوق،وفي أيام العيد يخرج الناس لزيارة القبور،ويجتمعون في القرافة[1] ،يجتمع أرجال والنساء علي السواء يمزحون ويغنون ،كما القراء يقرءون القران.

3-عيد الأضحى :كان البعض يجهزون الأضاحي منذ ليلة العيد ،كما كان بعضهم يقضي الليلة في تجهيز ثياب أو الخياطة حتى ينتهي من أعداد ثياب العيد ،وجرت العادة علي بعض الناس يكتفون بشراء اللحوم علي عدم ذبح الأضحية علي الرغم من مقدرتهم علي شرائها ،وفي صلاة العيد كان الخروج لأدائها في موكب يشبه موكب صلاة الفطر ،وكان الناس يخرجون لزيارة القبور والتجمع في القرافة أيضا.[2]

ثانيا :الاحتفالات المختلفة

ولم تقتصر احتفالات المسلمين علي شهر رمضان والعيدين وإنما كانت هناك مناسبات او مواسم دينية أخرى يحرص المسلمين على إحيائها ،مثل:

1-شهر محرم:ففي أول شهر محرم كان المصريون يحتفلون بعيد رأس السنة الهجرية،وفي العاشر من الشهر كان الاحتفال بيوم عاشوراء فكانت عادهم في هذا اليوم ذبح الدجاج وطبخ حبوب القمح ،وكانوا يتبخرون بالبخور.

2-شهر رجب: أما بالنسبة لهذه الليلة فهي من المواسم الهامة التي كان يحتفلون بها فيشترون لأطفالهم تماثيل ألحلوي التي صنعت من السكر.

3-**المولد النبوي** :كان الاحتفال به يتخذ نوعا من الفخامة والعظمة وكان الاحتفال بهي بدا مع مطلع شهر ربيع الأول ويستمر حتى الثاني عشر منه،كان الاحتفال بهي بدا ،ظهرا ويستمر حتى ساعة متأخرة ويبدأ بقراءة القران.

4-الاحتفال بدوران المحمل:وهو يوم دوران الجمل وهو يوم مشهود،وكيفية ترتيبهم فيه أن يركب فيه القضاة ووكيل بيت المال والمحتسب ويركب معهم أعلام الفقهاء وأرباب الدولة ويقصدون جميعا باب القلعة ،فيخرج إليهم المحمل علي جمل ،ويجتمع لذلك أصناف الناس من رجال ونساء ثم يطوقون بالمحمل في مدينة القاهرة ومصر ويكون ذلك في رجب ،فعند ذلك تبعث الأسواق

[1]-القرافة من اجمل اماكن التستر والفرجة.للمزيد أنظر:عاشور، المرجع السابق ،ص116

[2]-قاسم، عصر السلاطين، المرجع السابق ، ص116-117.

وتتحرك البواعث ،ويلقي الله تعالى العزيمة على الحج في قلب من يشاء من عباده،فيؤخذون في التأهب لذلك والاستعداد .[1]

5-أعياد اليهود(أهل الذمة):كان أهميه عيد رأس السنة ،وهو الذي ولد فيه النبي عيسى عليه السلام والنصارى تتخذه ليلة يوم الميلاد ويدا فيه تفرقة الجامات المملوءة بالحلوات القاهرية وقرا بات الجلاب،وطيا فير الزلابية ن، وقد سماه المقريزي عيد البشارة.[2]

*الاحتفالات القومية:مثل الاحتفال بوفاء النيل ،او تولية السلطان جديد فيشق السلطان القاهرة في موكب حافل وقد فرشت الشوارع بشق الحرير.

ثالثا:الاحتفالات العامة (الاحتفالات العائلية):

1-الزواج عند علية القوم: كان المماليك يحرصون علي الزواج ممن هم في مرتبتهم في السلم الاجتماعي [3]مثل زواج خوند زينب اخت السلطان فرج بن برقوق بالأمير سودون الحمزاري.[4]

وفي مراحل الزواج الأولي وهي مرحلة الخطوبة ،قد قامت الخاطبة ،في ذلك العصر بدور كبير في إتمام مهمة الخطوبة ،حيث يقصدها من رغب في الزواج بدرايته يعلمها بكل صغيرة وكبيرة ببيوت مصر والقاهرة وجرت العادة انه إذا رضي الراغب في الزواج بالمعلومات التي قدمتها له الخاطبة حول الفتاة او العروس فيسرع بإرسال هدية من جديدة إلي عائلة الفتاة لتبليغها رغبته في الاقتران بها.

الفتاة في العصر المملوكي لم يكن لها رأي في اختيار زوجها بل الرأي الأول والأخير لوالدها.

فإذا انتهى دور الخاطبة جاء الدور الثاني الخاص بعقد القران ودفع المهر او الصداق الذي لا زواج بدونه ،وجرت العادة على دفع جزء من المهر مقدما قبل عقد القران أما الباقي فيسدد علي أقساط.

طبقة المماليك كانت تدفع مبالغ باهظة في الصداق وهذا ما يدل علي المكانة الهامة للمرأة في ذلك العصر،وجرت العادة انه في حالة زواج احد أبناء أو بنات السلاطين او الأمراء او أعيان

[1] ابن بطوطة،تحفة الأنظار ،تحقيق عبد المنعم العريان ،ج1،دط ،دار أحياء العلوم ،بيروت ،ص46.

[2] -المقريزي ،الخطط المقريزية ،ج2،المصدر السابق ، ص35.

[3] - عاشور ،المرجع السابق ،ص290.

[4] -الرواشدة ،المرجع السابق ،ص80.

الدولة أن تكتب له خطبة صداق تكون في الطول والقصر حسب مكانة صاحب العقد،وهناك من أفراد طبقة المماليك من عقد الانكحة في المساجد ثم تأتي مرحلة إعداد الشوار ونقله إلي منزل الزوجية ويتناسب الجاز مع مركز أصحاب العروس ومدى ثرائهم ،ففي أفراد السلاطين والأمراء كان الشوار يفوق دائما الوصف.

وفي ليلة العرس تقام وليمة كبيرة للآهل والأصدقاء تسمى وليمة العرس، وهما وليمتان أحداهما للنساء تقام في بيت العروس وأخري للرجال تقام في بيت العريس وأحيانا تقام الوليمتان في بيت واحد،وفي المساء يخرج العريس قاصدا بيت العروس في موكب كبير، وبوصوله يبدأ احتفال الزفاف ،ففي الأفراح الملكية يكثر فيها الإسراف، وتحرص المدعوات اللاتي يحضرن الفرح على ارتداء الملابس الفاخرة والتحلي بالمجوهرات الثمينة، وكثيرا ما يتباهي المدعوون بالمبالغة النقود إلى المغاني وتقديم الهدايا من الشم والتحف الفاخرة ، ومن العادات الغريبة في عصر المملوكي أن الناسكان من عادتهم في الأعراس أن يلبسوا العرائس لباس الرجال من جندي وقضاة وغيرها، وفي نهاية الاحتفال اعتاد العريس أن يأخذ عروسه من يدها ،وعندئذ تقبل العروس يد زوجها ،ويبدو أن العادة جرت أن تقدم العروس لزوجها سيفا فاخرا، واعتاد العريس أن يعلق في شربوش العروس بعض الدنانير.

ويكون في حفل الزفاف حرف المغاني وأرباب الملاهي، وتتفق عليهم الأموال الطائلة من قبل السلاطين والأمراء[1].

2-**الزواج عند عامة الناس**: لم تختلف كثيرا عن الزواج عند علية القوم ففي مرحلة الزواج الأولي تبحث له الأم أو الأخت عن عروس مناسبة له أو يتوجه الراغب في الزواج إلي الخاطبة للبحث عن عروس حسب الشروط،وعند العثور على العروس يذهب والد العريس إلى والد العروس لخطبتها ثم يتم الاتفاق على المهر مع عدة مناوشات وكان أحيانا يختار الأب الزوج لابنته، فان كان شيخا يزوجها احد تلاميذه.

ثم تأتي مرحلة الخطوبة وهي عقد القران وعادة ما يكتب علي قطعة من الحرير ويعقد القران عادة في المسجد ثم يخرج أهل العروسين في موكب بهيج إلي بيت أهل العروس،ويحدد في

[1]- الرواشدة ،المرجع السابق . ،ص ص66-85.

العقد قيمة الصداق الذي يختلف مقداره حسب ثراء الخاطب ومقدرته المالية، وكان عقود الزواج تتوافر فيها أركان العقد وشروطه وفقر ما ورد في الفقه الإسلامي.

وكانت العروس تقوم بتجهيز نفسها من المهر وتزيد عليه مبلغا من عندها فكان الوالد يتحمل بتجهيز ابنته ،كان يشتري لها الحلي والفرش والأواني ،وطاسات من النحاس وغيرها، ويختلف جهازها حسب ثراء والدها والعكس،ويحمل جهاز العروس إلى بيت زوجها قبل أيام من العرس وسط حفل بهيج.وقد جرت العادة في الأفراح في العصر المملوكي أن تقدم العروس سيفا للعريس وهو بدوره يلصق الدراهم على جبينها.

وفي حفل القران تعد الوليمة من قبل أهل الزوج وتوجه الدعوة إلي أكابر العلماء واعيان الناس وتكون وليمتان للرجال وللنساء ،وبعدها تذهب العروس في المساء إلي بيت العريس. وتقام حفلة الزفاف فيبيت العروس ،وأحيانا يستأجر الزوج مسرحا أو قاعة تعد للعرس ،ويستأجر المغنيات لإحياء الحفل[1].

3-**الختان** :كان والد الطفل المراد ختنه في يوم محدد يدعوا أصحابه وأعيانه المدينة لحضور حفل الختان وتسبقها 'الحفلة) أعداد ثياب جميلة للطفل، وفي يوم الختان يحضر المطربون و المغنيون، ويحضر المدعوون من الناس حاملين معهم الهدايا من السكر والأرز والغنم والأقمشة الحريرية كل حسب قدرته، وينشد الناس الأناشيد ويقرأ المقرءون القران الكريم، ويتسمر الحفل إلى أخر الليل .وفي اليوم التالي يحتفل النساء ،ويحتفل كلاهما في يوم واحد.

4-**الولادة**: إذا علمت المرأة بأنها حامل تبدأ بتحرير نفسها وتعتني بصحتها ،وتتجنب أكل بعض الأدوية،وبعد ولادة الطفل تبدأ الاحتفالات بان تلمس القابلة الطفل إذا كان طفل صلت على محمد صلى الله عليه وسلم واذا كانت بنت ترضت على فاطمة الزهراء،وتبدأ النسوة تزغرد ويرتفع صوتهن بوجود الدق والرقص والغناء،وتضع الأطعمة الكثيرة والحلوى.

[1]-فايزة محمود احمد الزعبي ،مراسيم الزواج في مصر وبلاد الشام(من العصر الفاطمي حتي نهاية عصر دولة المماليك)،رسالة ماجيستير في التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية،جامعة اليرموك كلية الآداب ،2003،ص،ص،132-142.

وفي اليوم السابع للولادة يقيم أهل المولود وليمة كبيرة ويحضرها المطربون،وهناك من النساء من يضعف في اليوم السابع عند رأس المولود اللوح والقلم ورغيفا من الخبز وقطعة من السكر ويعللن ذلك بان الملائكة تكتب بالدواة والقلم ما يجري على المولود في عمره إلى حين موته.[1]

5-**ختم القران**:عندما يبلغ الطفل الثالثة أو الخامسة من العمر يرسله أهله إلى الكتاب فيقوم على تربية شيخ وللبنات شيخه أو معلم، وكانت الأسرة تحتفل بالطفل عند ختمه القران احتفالا يسمى احتفال ختم ،حيث تضرب الدقوق وتجمع زمرة دراويش الصوفية، وكان الولد المحتفل يدعو زملائه ويقوم الأولاد ببعض المدائح النبوية، ومع الموسيقي والطعام كان البخور يحرق مع العود وذلك لدفع الأرواح الشريرة عن الطفل ، وكانوا يقومون بنشر الشعير على الناس أي اعتقاد منهم انه يدفع العين عن الولد.[2]

4-:تدهور الحياة الاجتماعية:

إن الظروف الطبيعية والكوارث التي شهدها المجتمع المصري في العهد المملوكي وتأثيراتها على الحياة الاقتصادية ،أدى إلى التدهور في مختلف المجالات الأخرى ،حيث كان لهما الأثر البليغ في المجتمع ،مما تسبب في المجاعات التي حلت بالبلاد وانعكست على الاقتصاد ،ولم يكن هذين العاملين السبب الوحيد في ذلك وإنما كان للحكام اليد الطوال في تدهور أوضاع مصر الاجتماعية نتيجة لطمعهم وجشعهم واستبدادهم بالسلطة على

حساب أفراد المجتمع ،ومن خلال هذا العنصر سنحاول التطرق إلى التدهور الذي مس الحياة الاجتماعية ابتدءا من الطبقة الحاكمة وهذا من خلال :

الواقع أن الظروف خدمت المماليك في تلك العصور خدمات جمة فقد كانوا هم المالكين المطلقين للحكم في مصر والشام،لكن هذا أدى إلى اختلال النظام واستبدا الحكم والغياب عن الصواب والنزوع إلى الفوضى التي اغتصبت زمام الحكم وتصرفت في شؤونها بالعبث والفساد حتى ضاع الغرض المقصود منها ،ولم يكن غرض الحكام إلا إشباع رغباتهم وشهواتهم والقبض علي السلطة فوق رقاب العباد،وعدم وقاية البلاد فكان من نتائج ذلك نقص عدد السكان والسبب

[1]-نبيل جميل قرحيلي ،الاحتفالات في عصر المماليك 1250الي 1515،رسالة لنيل درجة ماجيستير في تاريخ العرب والاسلام جامعة دمشق ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،2010،ص،130.

[2]- الرواشدة،المرجع السابق ،ص ص،122-123.

المباشر لذلك كثرة الطواعين التي أصيبت بها البلاد،[1] كما انه كان لنظام الإقطاع في هذا العصر دور كبير في الحالة السيئة المتمثلة في الفقر والحاجة والعوز الذي عم الناس ،وذلك لما كان لها من أثار السلبية من خلال تركز الثروات وكثرت الأموال في أيدي أمراء المماليك ما حدا بهم إلى الاتجاه نحو الإسراف والمفاخرة وكذا فقر الناس ولجوؤهم إلى الحاجة والعوز الشقاء،[2] ومثال على ذلك في عهد برسباي تميز بحب الظهور والنفقات الباهظة فحلة واحدة للسلطنة أو السلطانة تحديدا في ثلاثين ألف دينار. [3]

كثر في عهد المماليك إصابة البلاد بالأوبئة فكان من بينها الوباء المروع الذي اجتاح الأرض من أقصاها إلى أقصاها ليخرب البناء السكاني وقد كان مقدمته لتناقص أعداد السكان حيث أصبح المصاب به (الوباء –الفناء الكبير) يبصق دما ثم يصبح ويموت ،وأصبح يمزق الجسد المصري،وقد تراوحت أعداد ضحاياه مابين عشرة آلاف ،وعشرين ألف نسمة يوميا وتزايد عدد الموتى ،بحيث صار الناس يحملونهم علي السلالم والأبواب وألواح الخشب،وكانت القبور اقل من أن تستوعب هذه الإعداد الكبيرة ،فلجأ الناس إلى دفن عدة جثث في الحفرة الواحدة،وامتلأت الطرقات والمساجد بالجثث وكان الوباء فتاكا لدرجة أن الأدوية لم تكن تجدي نفعا ،وذلك لسرعة الموت وصار الموت يطالع الناس في كل الطرقات.

بالإضافة إلى توقف النيل عن الزيادة في موسم الفيضان كان يخلف موقفا خطيرا في البلاد إذ تأثرت الزراعة وبالتالي الغلاء يفرض نفسه على مظاهر الحياة ،فتبدأ المجاعة التي تقتل عامة الناس جوعا ،وتمتلئ الشوارع والطرقات بالجثث التي ما تلبث أن تجيف وبالتالي تنتشر الأمراض الوبائية، لتقضي على أعداد كبيرة من الناس بحيث لا تجد الأرض من يزرعها وبالتالي تعم الفوضى على شتى المستويات. [4]

---

[1] –انور زقملة ،المماليك في مصر،ط1،مكتبة مديولي ،1914_1915 م ،ص ص 119 120.

[2] – صالح ألغامدي احمد،الآراء الاقتصادية للمقريزي(دراسة مقارنة)،تحت إشراف الثمالي عبد الله مصلح مشرف شرعيا ،واحمد الدنيا شوقي مشرفا اقتصاديا،كلية الشريعة والدراسات العليا الشرعية شعبة الاقتصاد الإسلامي،جامعة أم القرى،1413هـ. ،ص،28

[3] الزيدي ،المرجع السابق ،ص138.

[4] –قاسم ،المرجع السابق ،ص،ص165_172.

فمثلا في سنة 1404 كثرت الأشواك في الأراضي وعم الوباء وساد الغلاء واضعف الدولة ،فكثر تغيير الولاة من اجل محاولة تحسين الأحوال،هذا بالإضافة إلى الصقيع الذي أصاب البلاد وادي إلى السعال وموت الكثير من سوء التغذية وارتفاع الأسعار وغلاء كبير،وتكاثر الأمراء وندرت الأدوية فنقص عدد السكان ،ونزح الأهالي من الريف والقرى إلى المدن بسبب فناء الماشية وجدب الأراضي وكثرت الفوضى في الأسواق.[1]

وفي عام 833هـ/ 1429م وقع وباء قدر عدد ضحاياه 100الف إنسان وقضى علي طائفة عاملة من الذكر السودان عددهم حوالي 3الاف.

وفي بعض هذه الأوبئة كان الضحايا من الأطفال والرقيق والغرباء بصفة خاصة، وهذا راجع إلى عدم قدرة هؤلاء علي مقاومة الأمراض،فالأطفال أجسامهم لا تستطيع مقاومة العدوى لاسيما أن ذلك العصر لا يعرف التطعيم أو غيره من وسائل الوقاية.

-أما العبيد والخدم بسبب سوء التغذية لم تتحمل أجسادهم ولم تقاوم المرض بسبب أعمالهم الشاقة التي تفرضها عليهم طبيعة وضعيتهم الاجتماعية.

لقد استطاعت الأوبئة أن توقف النمو السكاني الذي شهدته البلاد في بداية ذلك العصر ثم تسببت في التناقص المستمر في أعداد حتى وصلت أعدادهم إلى الثلث تقريبا،وكان لها الأثر البليغ في تحلل بنيان المجتمع في أعقاب هذه الأوبئة والمجاعات حيث اضطر الناس لبيع ما يملكونه لشراء ما يقتاتونه،ومن ثم يدخلون في عداد المعدومين وبازديادهم تقل قوة البناء الاجتماعي،علي حين تضيق دائرة الأثرياء،التي تقل درجة أثريائهم أيضا ،حتى اضطر البعض نتيجة لهذه الأزمات لبيع أبنائهم وهو ما يؤدي إلى زيادة عدد الرقيق على حساب عدد الأحرار.

إضافة إلى توافد أبناء الريف إلى العاصمة لكي ينضموا إلى جمهرة المعدمين والشحاتين وبموت الكثيرين لم يجد من يرثهم فقد كانت الأملاك تنتقل بسرعة غريبة بين خمسة إلى ستة أشخاص في اليوم الواحد وذلك لسرعة الموت،مما أدى إلى الكثير من العامة للاستيلاء على أقطاعات أجناد الحلقة.

[1]- زقملة ،المرجع السابق ،ص125.

كان للأوبئة اثأر على أخلاقيات الناس وعلى شكل حياتهم اليومية فقد كانت الأزمة تدفع بالكثيرين إلى الحرص على ما لديهم من الأطعمة، وتشح النفوس ،وكان الأمراء والعيان والأثرياء لا يستقبلون أحدا وقت تناول الطعام وفي الشارع يتصارع عامة الناس في سبيل الحصول على القوت ،وقد يتقاتلون من اجل الحصول على شيء .

ويبدو أن كثرت الأوبئة والمجاعات التي تعرضت لها البلاد جعلت الناس يعتادون عليها ويتوقعونها ويتقبلونها،فقد كان الناس في العاصمة يتوقعون الوباء حتى أن الصغار في الكتاب يتكلمون بذلك ،ويودعون بعضهم البعض ولم يعد الناس يتوقعون من غدهم سوى ما يكرهون ،ومن ناحية أخرى فقد أضفت مسحة من الكآبة على الحياة اليومية فاختفت مظاهر البهجة والسرور.[1]

وفي ظل هذه الظروف والنتائج التي ترتبت عليها فقد تجرأ رجالات الدولة المملوكية علي نظام الإرث الشرعي ،وهذا لا يخفي على احد انه تشريع رباني أعطاه الإسلام الحصانة والحماية للحفاظ على حقوق الناس،لكن السلاطين المماليك تجرؤا على اخذ مواريث الناس ومصادرتها والتلاعب بها دون وجه حق وجعلوا لها ديوانا المواريث الحشرية حيث أصبحت الأموال التي لا وارث لها من جملة أموال السلطان،مما زاد من معاناة الناس وفقرهم ،ولم يقتص الأمر على هذا بل امتد جرأت الدولة حتى طالت أموال اليتامى وأخذها دون وجه حق.[2]

حتى الأوقاف هي الأخرى لم تسلم من بطش وجور السلاطين المماليك ،ففي هذا العصر انتشرت الأوقاف [3]انتشارا عظيما حتى شملت أراضي كثيرة في مصر والشام ،وقد اعتني المماليك بالأوقاف وأكثروا منها ،واهتم السلاطين المماليك بالوقف .

لكن شهد القرن الثامن الهجري أنواعا متنوعة من ظلم الحكام وتعديهم على الأوقاف وغصبها ،حتى ما كان للحكام منها على الحرمين الشريفين ويتم ذلك عن طريق بعض القضاة الجشعين ،وقد سجل بعض المواقف السيئة لبعض هؤلاء القضاة ذلك العصر،فقد سجل على

[1]- قاسم ،المرجع السابق ،ص،ص، 173، 188.

[2]- الغامدي، المرجع السابق، ص ص38-39.

[3]-الوقف: لغتا يعني الحبس والمنع،أما اصطلاحا:حبس العين عن تمليكها لأحد من العباد ،والتصدق بالمنفعة على مصرف مباح،ويشمل الوقف الأصول الثابتة والأموال المنقولة ،ويختلف الوقف عن الصدقة في أن الصدقة ينتهي عطاؤها بإنفاقها،أما الوقف فيستمر العين المحبوس في الإنفاق في أوجه الخير من بعد الوفاة .للمزيد انظر، المغلوث،المرجع السابق، ص 272.

القضاة كمال الدين عمر بن العديم للحنفي ظلمة في الحكم بما يرضي شره الأمير جمال الدين في اغتصاب الأوقاف ،وكذلك سجل علي قاضي القضاة شرف الحراني ظلمه في إصدار حكمه أرضاء شره الملك الناصر محمد بن قلاوون .

كما اختلفت الأيدي في الاستيلاء عليها ،واقتدي بعض القضاة إلى الحكم باستبدالها، وكان الاستبدال هو طريق التحايل على الأوقاف بأن يشهد الشهود بأن هذا القصر بقصر الجار والمار وانه يستحق الإزالة والهدم،فيحكم قاضي القضاة باستبداله ،وأكثر من تولى كبير ذلك من الولاة ،جمال الدين يوسف والذي عاونه في تحقيق شرهه قاضي القضاة كمال الدين كمال الدين بن العديم الحنفي ،فتظاهرا معا على نهب الأوقاف ، وصار كل من يريد بيع وقف سعى بهذه الطريقة عند القاضي المذكور بجاه ومال فيحكم له بما يريد.

وبذلك صارت الأوقاف ونهب مقسوما باسم الاستبدال للحكام يعينهم في ذلك فسقه بعض القضاة والشهود ،وجرى ذلك في القرن 7هـ/8هـ/12م/13م وكان لهذا الجور أثره في الفقهاء الذين عاصروا ذلك الأمر وأشباهه، فلا عجب أن رأينا بعض الفقهاء يتشدد في موضوع الاستبدال أيما تشدد ،حتى أنهم اشترطوا أن يكون القاضي الذي يحكم بالاستبدال عالما عادلا وهو الذي يعبر بقاضي اللجنة ،وحاول العلماء الاحتياط ولكن ذهب احتياطهم صرخة في واد،لان الأوقاف كغيرها من الأموال لا تحمي بالشروط وإنما تحمى بالعدالة والعلم في القضاة والنزاهة في الولاة [1].

كما وانه انتشرت ظاهرة التسول وهي نتيجة الفقر والعوز في المجتمع،بالإضافة إلى انتشار بعض العادات والمفاسد الضارة وذلك من شرب للخمر وتجارة البغاء وغيرها،[2]فلجأ بعض السلاطين المماليك إلى إصدار بعض القوانين منها منع النسا من ارتداء الملابس الخليعة أو منعهن من الخروج من بيوتهن في ساعات معينة وتحديدا أوقات خروجهن هذا بالإضافة إلى محاولة التصدي أو القضاء على مظاهر الخلاعة والمجون وهذا أما بالتصدي للمغنيات وأرباب الملاهي حتى انه الأمر إلي منع النساء من الخروج إلي المقابر أيام الجمع والأعياد وفي الليل.[3]

[1]- المغلوث ،المرجع السابق ،ص،ص،272.274.

[2]- الغامدي ،المرجع السابق،ص ص 40 41.

[3]-ناصر الأنصاري،تاريخ أنظمة الشرطة في مصر ،ط1،دار الشروق ،1410_1990 ،ص 78.

لذا كانت الأوبئة وبصورة خاصة وباء الطاعون أخطر ما تعرض له المجتمع المصري ،ونلمس هذا الخطر في كل المجالات حتى المجال العلمي منه وهذا نتيجة لتوقف الدروس والحلقات بسبب عدم إمكانية التجمع خشية الإصابة بالطاعون من ناحية وتوقف الرحلة في طلب العلم من والى البلد الموبوءة من ناحية أخري هذا بالإضافة الى وفاة العلماء والفقهاء في مختلف الاختصاصات نتيجة لإصابتهم بهذا الوباء ،فمثلا في سنة 1416م توفيت ابنتا الإمام ابن حجر العسقلاني (عالية وفاطمة) وكذا القاضي بعسكر ومفتي العدل تقي الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد بن الجيني وإبراهيم بن العز محمد النويري ،والإمام ظهيرة بن حسن بن علي بن أحمد المخزومي المكي وكالإمام محمود بن أبي القاسم بن محمد الاصبهاني ،والفقيه شرف الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الشحنة الذي توفي في طاعون 1429م، والشيخ سراج الدين عمر الصفدي متولي مشيخة الخانقات الصوفية،وفي سنة 1435م توفي القاضي تقي الدين بن يحي بن يوسف الكرماني البغدادي ،وناصر بن محمد الدين البسطامي والشيخ جلال الدين نصر الله بن عبد الرحمان بن أحمد المعروف بالروياني.[1]

إن وفاة هذا الكم الهائل من العلماء جعل المجتمع المصري يشهد حركة فساد اجتماعي ،وذلك عن طريق انتشار التزوير وشهادة الزور ،إضافة إلى شرب الخمر والاتجار به علانية ،كما ظهر ما يعرف بضمان المغاني عبارة عن مال كبير مقرر من المغاني من رجال ونساء)،وفي القاهرة اشتهرت قاخارات بها بالبغاء واقتراف الفواحش مجاهرة ، وتشبه النساء بالرجال في الملبس ،واختلاطهن بالرجال عند الجلوس في الحوانيت.

كما وانه أنشرت ظاهرة الاستعانة بالمنجمين في المجتمع عند العامة من الناس ،وبالخاصة كذلك عند السلطان وحاشيته.[2]

[1]-سالم حمدي فتحي ،وباء الطاعون وأثره على مدينة القاهرة في العصر المملوكي،قسم الحضارة الإسلامية كلية العلوم الإسلامية ،مجلة الأبحاث كلية التربية الأساسية ،المجلد 12،العدد 4،جامعة الموصل ،2013م.

[2]-سماح بنت سعيد عبد القادر باحويرث،الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر السلاطين المماليك 648هـ-923هـ/1350م-1517م،دراسة تاريخية حضارية ،إشراف عبد الله بن سعيد محمد ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،1431هـ/2010م.

من خلال كل ما تم التطرق إليه يمكن إجمال القول أن المجتمع المصري في تلك الفترة أصبح يعيش ظاهرة فسادة الوظائف والجشع والكسب المادي الذي غابت عنه العدالة ،بالإضافة إلى انتشار الظلم لسهولة شراء القضاة ،وفقدان الحكام سيطرتهم ونفوذهم الاجتماعي ،فقد تحولت نظرة الرعية إلى الحكام علي أنهم مغتصبين للسلطة ،وهذا بسبب السياسة التي انتهجوها من اغتصاب للأموال وفرض للضرائب وإنفاق للأموال وانتشار الفقر والجوع والأمراض والتسول ،هذا وكأن المجتمع المصري لم يكفيه هذا ليبتلى بالأوبئة وفي مقدمتها الطاعون الذي اضطر الناس إلى أكل لحوم الميتة وجيف الحيوانات والقطط والكلاب وغيرها،وانتشار لعدم الأمن والسرقة والسلب في الأزقة والشوارع حتى انه لم يعد باستطاعة الشخص الخروج لأداء صلاة العشاء وغيرها الكثير من مظاهر التدهور التي أصاب المجتمع آنذاك.

تقييم الكتاب:

يعتبر المقريزي من رواد الفكر الاقتصادي الاجتماعي خاصة لتفسيره للظواهر الاقتصادية التي شهدها عصره، ونتيجة لمناصبه التي شغلها جعلت منه مؤرخا استطاع من خلالها تأسيس منهج جديد مقتبسا من منهج أستاذه ابن خلدون (منهج الجرح و التعديل)وهو منهج المحدثين ، بحيث اعتمد المقريزي على منهج المقارنة .

ومن خلال كتبه وخاصة كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة تناول فيها الأزمات الاقتصادية التي ضربت بالمجتمع المصري وحاول إيجاد حلول لها من خلال دراسة الواقع المعاش .

هذا الكتاب دراسة ناقدة تحليلية يغلب عليها الطابع الاقتصادي ،ويبرز التنظيم كسمة من سمات التفكير لدي المقريزي ،وفي كتابه وهذا من خلال المنهج الواضح تداوله للقضايا مثل قضية الغلاء على سبيل المثال فقد سار في منهجه وتحليله علي ثلاثة نقاط:

أ:مرحلة الملاحظة للظواهر الطبيعة التي يراد بحثها مثل الغلاء وفي هذا الصدد يقول المقريزي"انه لما طال أمد هذا البلاء المبين وحل فيه بالخلق أنواع العذاب المهين.....عزمت على ذكر الأسباب التي نشأت منها هذا الأمر الفظيع"

ب:مرحلة الاستقراء:مرحلة الاستقراء التاريخي لظاهرة الغلاء وأسبابها ،حيث يوضح ويستعرض من خلال التاريخ ومحاولة لمعرفة الأسباب التي كانت وراء ظواهر الغلاء منذ برأ الله الخليفة في سائر الأقطار وجميع الأمصار.

ج:مرحلة الاستنباط للنتائج:من الاستقراء التاريخي للظاهرة المذكورة(الغلاء) "اعلم تولي الله أمرك بالحياطة و الهداية....أن الغلاء الذي حل بالخلق منذ الذي حل بالخلق منذ كانت الخليقة فيما نقل عن أخبارها إنما يحدث من أفات سماوية في غالب الأمر :كقصور النيل ودم نزول المطر بالشام والعراق والحجاز وغيره ،أو آفة تصيب الغلال من سمائم تحرقها أو رياح تهيفها أو جراد يأكلها وما شابه ذلك..."

وما يلاحظ علي المقريزي انه استخدم هذه النتائج التي توصل إليها في البداية لخطوات منهجية جديدة لإثبات نتائج أخري تبني علي النتائج السابقة ،من ذلك استخدامه لنتائج الاستقراء في ان الغلاء الذي حل بمصره في عصره ليس من أسباب الغلاء التي ذكرها سابقا

ولذلك لقوله*..وأما هذا الأمر الذي حل بمصر (يقصد الغلاء) فانه بخلاف ما قدمناه*ثم شرع في بيان أسباب الغلاء في عصره مستخدما في ذلك الأسلوب المنهجي نفسه غير أن استقراء كان للواقع وليس للتاريخ.

إلاّ أن الكتاب تعتليه بعض النقائص وهذا من خلال الأفكار التي تناولها وترك فيها فراغ لم يسده ومن بينها : أن المقريزي لم يقدم برنامجا إصلاحيا لبعض المشكلات الاقتصادية التي ذكرها ومن ذلك الفساد الإداري الذي قال إن له دورا كبيرا في حدوث وتفاقم المشكلات الاقتصادية في عصره،ومثال ذلك ارتفاع أسعار الأراضي الزراعية (غلاء الأطيان)،ولعلى صعوبة تقديم علاج واضح لغلاء الأطيان وارتباطها بنظام استغلال الأراضي الزراعية آنذاك وإشكال ملكيتها والتي تميزت بفقدان العدالة في ملكيتها ،بحيث تركزت الملكية في أيدي رجالات الدولة،مما سهل احتكارها وفرض الأسعار المرتفعة لها.

كما انه على الرغم من انه بين أسباب المجاعات والتي كانت لا تنفك تجتاح المجتمعات الإسلامية من حين إلى أخر وعوامل وجودها ،إلا انه لم يقدم برنامجا إصلاحيا محددا لمواجهتها علي الرغم من انه وعد بتقديمها ،،ولكن ربما كان يقصد الإصلاح الذي قدمه في فساد النقود ويؤدي هذا الاستنتاج أن المقريزي ركز على النقود على حساب أشياء أخرى،كما وانه أهمل ولم يبين الجهات أو المؤسسات التي يتوجب عليها إصلاح ما فسد من الجوانب الاقتصادية المختلفة إلا ما أشار إليه باقتضاب شديد وهو يتحدث عن ضرورة إصلاح ولاة الأمور للنقود المتعامل بها. [1]

خلاصة مما سبق يمكننا أن نعتبر أن ما مقدمه المقريزي يؤسس للمدرسة التاريخية القائمة على دراسة المجتمع انطلاقا من الحالة الاقتصادية وما يصاحبها من تحولات .

فالمقريزي ربط بين العلاقة بين الوضع الاقتصادي المتدني لمصر وانعكاساته السلبية على أفراد المجتمع مقدما بذلك نماذج انطلاقا من إحصائيات اعتمد عليها لمعرفة مستويات الفقر من خلال تطاول العملة وانعكاس ذلك سلبا وإيجابا على واقع الحياة اليومية للإفراد.

إن ما قدمه المقريزي يعد سابقة نستطيع أن نعتمد إلى الحلول التي توصل إليها في معالجة الأزمات الاقتصادية

[1] – ا ألغامدي ، المرجع السابق ،ص ص،483.479

الخـــاتمة

مثلت فترة دولة المماليك فترة حاسمة في تاريخ الحضارة الإنسانية بصفة عامة والعربية الإسلامية بصفة خاصة فيها الكثير من الأحداث،كما أنها حفلت بالعديد من السلاطين تركوا لهم بصمات على صفحات التاريخ استطاعوا أن يشيدوا إمبراطورية ضخمة حققت وزنا في العصور الوسطي،إذ أن للدولة وسياسة حكامها اثر فعال في استقرار الأوضاع آو اضطرابها،ففي ضل فترة الحكام الأقوياء اتسمت الأسعار بالاستقرار نتيجة ضبط العملة وإحكام السيطرة على إدارة الدولة ،أما في ضل الحكام الضعاف اضطربت أوضاع الدولة وفساد الإدارة وكثر عزل رجال الدولة وشغور بعض الوظائف العامة،إذ أن عصر المماليك الشراكسة شهد حدوث أنواع من الكوارث الطبيعية والأزمات الاقتصادية ،فقد بليت السلطنة بخراب فاحش فانتشرت المجاعة بشكل أوسع واستفحل الوباء بين الناس وانتشر الطاعون نتيجة جفاف نهر النيل .

كانت الأزمات الاقتصادية من اخطر ما تعرضت له المجتمعات البشرية في حقبة العصور الوسطي وبداية العصور الحديثة،وخاصة المجتمع المصري لما لها من آثار سلبية كبيرة ونتائج فعالة تؤدي إلى هلاك وتدمير القوة البشرية، وتشل نموها السكاني والاقتصادي ولاسيما فترة دولة المماليك بصفة عامة ودولة الشراكسة علي وجه الخصوص لما شهدته من مختلف الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية التي تسببت في تدمير اقتصاد الدولة المملوكية وانعدام الأمن وعدم استقرار الأوضاع في المنطقة،فقد كثر الشح وضاقت الأرزاق ووقفت الأحوال ،واشتد البكاء وعظم ضجيج الناس ،كما عظم وتضخم الموت وشح الأغنياء وقلة الرحمة.

فقد عمدت السلطة المملوكية إلى استنزاف الاقتصاد المملوكي تأمينا لمصاريف تلك الفتن والحروب والشدائد التي حلت بالبلاد ،وقد أدى الفساد والضعف الذي أصاب النظام الاقتصادي إلى عدم استصلاح الأراضي الزراعية وعدم اهتمامهم بشؤون الناس ،ففتشوا عن أسهل مصدر للدخل فوجهوا أطماعهم إلى القطاع الصناعي،وزاحموا أرباب الصناعة ،ولم يراعوا حرمة الأسواق أو حتى المحافظة على الأمن ،وبقي للجند حرية الفساد والصراع فيها ونهبها،الأمر الذي أدى إلى شل الحركة الاقتصادية في البلاد،لتتحول المصانع إلى خراب أو مساكن.

هذا ولم يكتف المماليك بالقطاع الصناعي وإفراغه من محتواه وإنما توجهوا إلى التجار ولم يشاركوهم في التجارة والإرباح ،بل إنها كانت تبتاع بالإكراه معظم المحاصيل والمواد الرئيسية ثم تبيعها من جديد إلى تجار التجزئة بأسعار محددة.

لقد عمد المماليك كذلك إلى فرض ضرائب استثنائية تتمثل بالمصادرات التي لم تخضع لقانون ،حتى أن السكان أطلقوا عليها مختلف الأسماء مثل الجباية والمكوس ...
كل هذا أدى إلى شل قطاعات الاقتصاد كلها ،ومع ذلك لم تنقطع طلبات الحكام للمال بل كانت تزداد وكان على الرعية البائس تأمينها دون أن تضمن له الطبقة الحاكمة الاستقرار والأمن.

كما لا يفوتنا أن المماليك عمدوا إلى الغش في النقود للحصول على الأموال الأمر الذي تسبب في تضخم مالي عانت منه الدولة واقتصادها.

وهذا كان له انعكاس علي الجانب الاجتماعي بحيث شكل المماليك طبقة عسكرية حاكمة وشكلوا لأنفسهم مجتمعا خاصا بهم ،فقد استطاعوا تشكيل طبقة عسكرية حاكمة ولم يستطيعوا تشكيل طبقة ارستقراطية حاكمة إذ كان ينقص مجموعتهم عدة شروط ،من مقومات الطبقة الارستقراطية الحاكمة ،والمتمثلة في الاستثمار المنتج والوراثة والاستقرار في الحكم، علي الرغم من أنها نجحت في فترة ما في الأخذ بالوراثة بالحكم والسلطة إلاّ أنها لم تستطع المحافظة عليها لكثرة المشاحنات ،وذلك لأنهم كانوا يرون أن الأحق بالعرش هو الأقوى بينهم .

لقد تميزت فترة حكم المماليك البرجية بالفساد من قمة هرم السلطة إلى قاعدتها ،ويشار إلى أن الكثير من السلاطين كانوا يعانون من الجهل خصوصا اللغة العربية ،فكان منهم لم يحسن الكلام بالعربية ،والمشاحنات الداخلية وشراء الذمم والبحث الدائم عن مصادر للأموال بجميع الوسائل.

لقد تجسدت السلطة بين المماليك والرعية في إحساس المتبادل بينهما بان المماليك ليسو سوى أغراب عنهم يحكمون مصر على أساس من التفويض الشرعي من الخليفة العباسي، لذا كانت مشاعر الرعية اتجاههم مزيجا من الكراهية السياسية والعداء الاجتماعي والولاء الديني المفروض عليهم كمسلمين تابعين للخليفة العباسي.

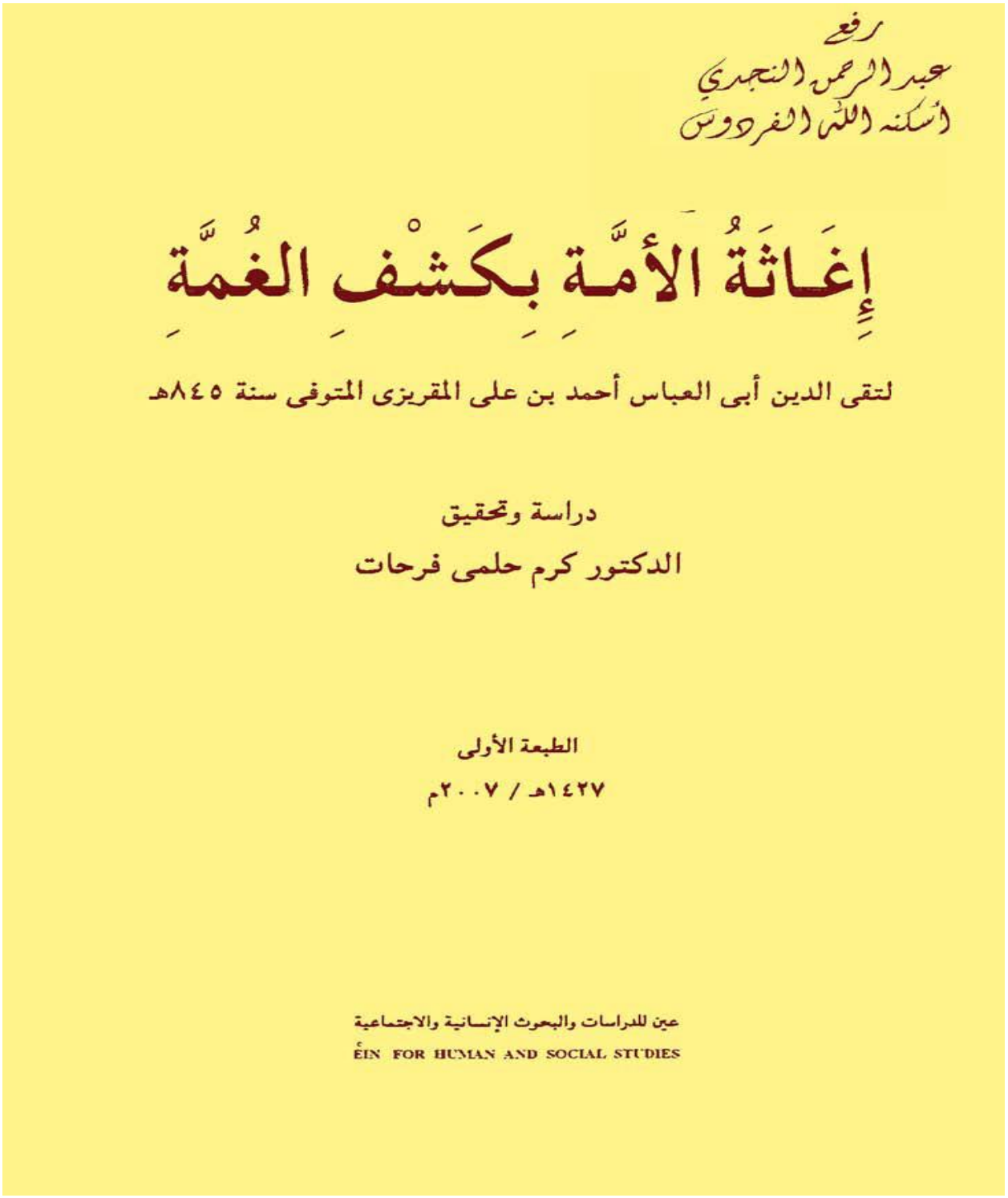
كان النظام السائد آنذاك النظام الإقطاعي العسكري الأمر الذي أدي لتشكل الطبقية في المجتمع المصري المملوكي الأمر الذي عبر عنه ابن خلدون أن في مصر هنا "سلطان ورعية "،إذن المجتمع المصري في عهد المماليك كان مجتمعا طبقيا في علاقاته واتجاهاته،وهذا حسب قسمة المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون :السلطان وصور الجهاز الحاكم والفئات التي تعيش على هامشه من المصريين ،طبقة الرعية وهم المصريين بجميع طوائفهم وفئاتهم ،ولم تكن العلاقة بين السلطان والرعية

علاقة حقوق ووجبات بل علاقة خدمة العبد للسيد ،فهو لم يكن سوى وسيلة من وسائل الثراء السريع كما وان المماليك كانوا يعتمدون على المتعلمين من المسلمين وأهل الكتاب في الشؤون المالية والإدارية أما الرعية فكانت تتألف من أهل مصر ،لذلك نجد أن المقريزي قسمه إلى سبع طبقات واقترب كثيرا من تقسيم الذي وضعه أستاذه ابن خلدون ،إذ لم يرتبها حسب مستواها الاقتصادي انطلاقا مما رآه أن مصر في ذلك الوقت حاكم ورعية ،نظرا للعلاقة التي ربطت الهيئة الحاكمة القائمة علي نظام الطبقي التي افرزها النظام الإقطاعي العسكري النافذ في مصر آنذاك.

لم تلتزم الحكومة حيال الرعية بمسؤولياتها عامة في مجال التعليم والصحة والغذاء بل كانت الرعية تمول هذه النشاطات من خلال نظام الأوقاف،هذا النظام الذي شهد تطورا ونموا في المرحلة الأولي من عمر السلطنة المملوكية ،لكن في خضم الأزمات التي شهدها العصر المملوكي تطاول عليه الحكام والأمراء بإنشاء نظام الاستبدال.

الملاحـــق

الملحـــق رقـم (1) :الواجهة الأولى من كتاب إغاثة الأمة بكشف الغمة.


رفعه
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

إِغَاثَةُ الأُمَّةِ بِكَشْفِ الغُمَّةِ

لتقى الدين أبى العباس أحمد بن على المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ

دراسة وتحقيق

الدكتور كرم حلمى فرحات

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م

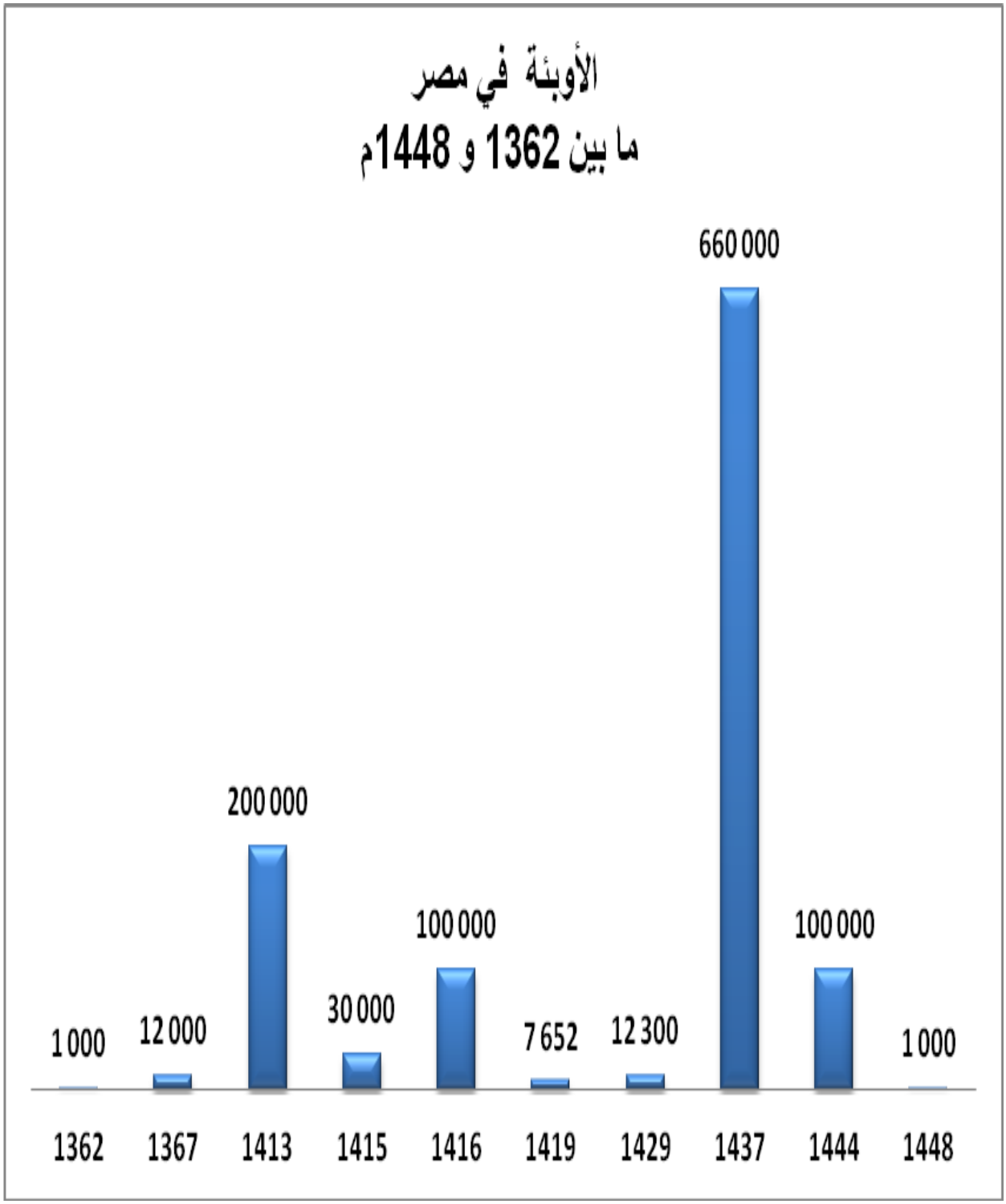
عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

ʿEIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

الملحـــق رقـــم (2) :انعكاسات الأزمة الاقتصادية على فئات المجتمع المصري[1]

★- انعكـاس الأزمة الاقتصادية على فئات المجتمع المصري		
الفئات المجتمع	**الممارسات الوظيفية**	**مقدار الضرر**
1- أهل الدولة	1- الحاكم. 2- حاشية الحاكم. 3- رجال الدواوين وموظفو الإدارة.	- لم تتضرر بسبب استفادتها من ضرائب الأرض.
2- أهل اليُسّار من التجار وأهل النعمة من ذوي الرفاهية	1- تجارة الجملة. 2- الأملاك والأطيان.	- تناقص الثروة بسبب ارتفاع الأسعار وتوجيهها للمعيشة.
3- أرباب المعايش	1- الباعة. 2- صغار التجار.	- تضرر بعضهم بسبب ارتفاع الأسعار.
4- أهل الفلاحة والحرث	1- الزراع	- تضاعفت ثروتهم.
5- الفقهاء وطلاب العلم وخلق من الأجناد	1- الممارسات الشرعية والعسكرية	- تضرر كثيرا بسبب الغلاء والفقر والموت.
6- أرباب المهن والأُجراء والحمالين والخدم والسواس والحاكة والبناة	1- أصحاب الأجور المرتفعة.	- تضاعفت ثروتهم لكن الموت أخذ أغلبهم.
7- أهل الخصاصة والمسكنة	1- المحتاجون والمتسولون والمتشردون.	- موت الأغلبية بسبب الفقر المدقع والجوع والبرد.

[1]-استنتاج لما جاء في كتاب إغاثة الأمة.



الملحـق رقم (3) :تم إنجاز هذه الأعمدة البيانية من مقال سالم حمدي فتحي، المرجع السابق، صفحات متعددة

الملحـق رقم (4):جدول يوضح أهم أعمال السلاطين في المماليك البحرية والبرجية

أ/– المماليـك البحرية:684هـ–780هـ/1258م–1382م[1]

السلطـــان	فترة حكمـه		أهـــم انجازاتـــه
	ميلادي	هجري	أول سلطان مملوكي بحري.
الظاهر بيبرس أول قائد	1260م/1277م	657هـ/676هـ	–تخفيف الضرائب وكذا سن القوانين عادلة. –شيد المساجد وأسس المعاهد الدينية. – قام بإصلاح الثغور. –زاد في استتباب الأمن في مملكته. –أقام عدة صداقات من بينهم المغول. –أقام حرب مع المغول بعد نقضهم للعهود. –أوقع التخريب في أرجاء كل البلاد المسيحية.
السلطان قلاوون	1277م/1290م	678هـ/689هـ	–حارب حاكم دمشق سنقر وهزمه واستولي علي دمشق . – كما حارب القبائل المغولية وهزم التتار. –حارب الصليبين رغم المهادنة (دامت 10سنوات)،استولي على طرابلس بعد حصار دام شهر. _ رغم قسوته كان جوادا ،محبا للخير ،بني المدارس وملجأ للأيتام.
خليل بن قلاوون	1290م/ 1293	689هـ/ هـ	كان كثير القسوة والكبرياء وسيئ السيرة . _كان لديه إصرار لإخراج الصليبين من سوريا واستولي على عكا أخر ما تبقي بيد الصليبين.

[1]– تمّ انجاز هذا الجدول بالاعتماد على الكتب التالية:

– وليم موير ،دولة المماليك في مصر ،تر،محمود عابدين سليم حسن،ط1،مكتبة مديولي ،القاهرة ،1995، صفحات مختلفة

– الاسكندري، المرجع السابق، ط4، صفحات مختلفة.

الناصر بن قلاوون	الفترة الأولى:1293م/1299م الفترة الثانية:1399م/1341م.	693هـ/694هـ 698هـ/708هـ	_ازهي عصور الحضارة الإسلامية بمصر المملوكية . _هزم التتار المماليك واستولوا علي دمشق. _اصدر قوانين صارمة ضد اليهود والمسيحيين. _زادت ثروة البلاد في عهده بحيث اهتم بالشؤون الداخلية مثل الموازين والمقاييس وأزاح الضرائب علي الناس وانشأ الطرق في جميع أنحاء البلاد ،شيد القصور الشاهقة ،شيد المساجد والحمامات والمدارس . -كان محبا للعلم والعلماء،كان ملكا جليلا.
حسن ابن الناصر	الفترة الأولى:1348م/1351م. الفترة الثانية:1354م/1361م .	748هـ/752هـ. 755هـ/762هـ.	شيد جامع السلطان حسن بجوار القلعة ،كانت فترة حكمه أحسن من سابقيها.

الدولة البرجيـــة:780هـ-923هـ/1382م-1517م

السلطان	فترة حكمه		أهـم الأعمـال
سيف الدين برقوق	**1382م/1396م**	**784هـ/801هـ**	-مؤسسة دولة المماليك الشراكسة. -كان حاكما قادرا عاقلا ،مؤسسا لكثير من المعاهد العامة ،محب لسفك الدماء، -حارب التتار وكان متخوفا من تيمورلك والعثمانيين.

فرج بن برقوق	1412م/1399م	801هـ/815هـ	-قاد حرب ضد سوريا الرافضة له،(لصغر سنه 13سنة). -كانت بينه وبين تيمورلنك مراسلات ودية من طرف تيمورلنك. -خرج لمحاربة التتار . -كانت مدة حكمه تعسفا وشقاء ،داوم علي الثورة في القاهرة ،استمرا أمراء سوريا في المشاحنات بينهم وبين السلطان. -كما قام بضرب سكة للمملكة وجعل عليها صورته.
برسباي الاشرف	1438م/1421م	825هـ/841هـ	-اصدر مراسيم ضد اليهود والمسيحيين . -تشدد في سن الضرائب واحتكار التجارة. -استولي علي قبرص واسر ملكها في مصر. -انه اهتم بتجارة المشرق . -في الجزء الأخير من حكمه توترت العلاقات وكثرت الحروب بينه وبين دول المشرق و الشرق والشمال . كان ماكرا قاسا جشعا غشوما.

الملحـق رقم (5): جــدول يوضح أهــم المجاعات التي ضربت مصــر في العهد المملوكي [1]

التاريخ	المجاعة أو الوباء سببها	النتيجة
777هـ/1375م	نتج عن قصور النيل مجاعة	-لجأ الناس إلى أكل الميتة والقطط والكلاب ،كما باع الكثير من الفقراء أبناءهم. - انتشار الوباء.
779هـ/1377م	انتشار الطاعون	-تفشي الأمراض بين الناس -موت الكثير منهم.
783هـ/1381م	انتشار الطاعون من الإسكندرية	بلغ عدد الموتى في القاهرة 300 ميت.
796هـ/1393م	وقعت بالبلاد مجاعة وصحبها وباء	-خراب البلاد والقضاء علي أكثر من نصف السكان.
794هـ/1391م	انتشار مرض وبائي.	-موت العديد من الأبقار ،وارتفاع أسعار اللحوم
797هـ/800هـ/ 1394م/1399م	ظهور المجاعة وانتشار الوباء وأمراض وبائية.	حدثت أزمة اقتصادية شديدة وصحبها الوباء،وارتفاع الأسعار ،وكذا انتشار مرض السعال والباردة،القضاء علي عدد من السكان.
806هـ- 818هـ/1402م- 1415م	توقف النيل عن الزيادة وقع طاعون شامل في الصعيد انتشار الأمراض الوبائية.	ارتفاع الأسعار واختفاء الخبز ،الخراب علي غالب بلاد الصعيد،الفتن والاضطرابات السياسية.
819هـ828هـ/ 1416م-1424م	انتشار الأمراض كل أنحاء البلاد ،امتداده إلى المناطق القريبة بمصر.	ارتفاع شديد في الأسعار واختفاء بعضها،القضاء علي العديد من الأطفال والرقيق.
833هـ- 841هـ/1429م- 1444	انتشر الوباء ليشمل الوجه البحري.	القضاء على طوائف بأكملها القضاء علي اسماك الأنهار والبحيرات ،والقضاء على الصحراء المصرية ،ظلم الحكام.

[1]- تم انجاز هذا الجدول بالاعتماد على كتاب : قاسم عبده قاسم، لنيل والمجتمع المصري في عهد سلاطين المماليك، صفحات متعددة.

الملحـق رقم (6): جـدول يوضح أهـم السنـوات التي ضرب فيها الطاعـون مصـر(القاهـرة) في عهد المماليـك البحرية والبرجيـة [1]

السنـة	نتيـــجة
1320م/720هـ	ارتفاع أسعار المواد الغذائية نتيجة لهذا الوباء.
1348م/749هـ	-وفيات كثيرة ،مات فيه أمم كثيرة لا يحصهم إلا الله بحيث بلغت إعداد الوفيات في القاهرة ومصر في اليوم الواحد **11000نسمة**.
1362م/761هـ	-اثر بالقاهرة بشكل كبير وهذا لأنه سبقه وباء في سنة 1359م و 1360م الأمر الذي أدى تدهور وسوء الأوضاع . -وفاة عدد كبير من السكان لاسيما اليهود الذي شكلوا نسبة كبيرة . -قدر عدد الضحايا في شهر رمضان فقط **1000نسمة**.
1367م/769هـ	-استمر في التفشي مدة 4اشهر. -عانى السكان خلالها كثيرا من شدة فتكه إذ بلغ عدد ضحاياه أكثر من **نسمة 100** في اليوم الواحد.

-سالم حمدي فتحي ،المرجع السابق،ص، ص 458 464.

783/م1381 هـ	**أول من مات فيه من الأمراء المماليك أيدمر الشمسي ، والأمير علي بن قشتمر .** **-ارتفاع كبير في الأسعار استمر حتى سنة 784هـ/1382.**
808/م1406 هـ	-استمر حتى نهاية السنة مؤديا بحياة الكثير من السكان وممن مات فيه من الأعيان شهاب الدين احمد بن عبد الله العجمي الحنبلي.
816/م1413 هـ	-وقع الطاعون بمصر وتفشى بين السكان . -أصبحت القاهرة إحدى المدن الموبوءة ،وكان أثره على الأطفال دون غيرهم بسبب الارتفاع الملحوظ في درجات والتي تسبب في زيادة الوفيات بلغت **120نسمة** في اليوم. **-أسبابه:**هبوب رياح شديدة من الجنوبية واستمرارها لعدة أيام. -حلول الربيع ازداد انتشاره بسبب اعتدال الجو الذي أصبح أكثر حرارة وكذا الرياح الجنوبية الأمر الذي أدى إلى ارتفاع ضحاياه إلى ما يزيد إلى **1000نسمة**. -بلغ عدد الوفيات في القاهرة وحدها يوميا مابين (20-30). نتائجه الاقتصادية:اضطراب الأسواق . -ارتفاع أسعار البضائع المطلوبة كمادة مفيدة للموبوء ين مثل البطيخ الصيفي.
818/م1415 هـ	بلغ عدد الوفيات **80نسمة يوميا**.
822/م1419 هـ	-بلغ عدد الأموات مستهل جمادى الأول 77نسمة سنويا . -بلغ مجموعها **7652 نسمة** منهم **1065رجلا 669إمرة و3969طفلا و544** من **العبيد و1369** من **الإماء و69 من النصارى و32** من **اليهود**

833/م1429 هـ	-ارتفاع درجات الحرارة عن الحد الطبيعي . وفاة أعداد كبيرة :بلغت الوفيات في القاهرة **12نسمة يوميا** ،ووصلت إلى ما يقرب من **50نسمة** ،وأخذت هذه النسبة بالارتفاع مع نهايات ربيع الأخر بلغت **1000نسمة**. ازدادت حدة الطاعون في شهر جمادي الأول فبلغت وفيات في الرابع من هذا الشهر **1200نسمة** ومات في هذا الطاعون عدد كبير من المماليك مثل السلطان الاشرف برسباي (825هـ-841هـ/1421م-1437)إذ وصلت إلى 50مملوكا يوميا. -نتيجة لكثرة الوفيات عز وجود حمالي الموتى وغاسليهم ومن يحفر القبور ،مما اضطر السكان الى القيام بالدفن الجماعي في حفرة واحدة ،حتى انه عرف هذا الطاعون بشدة وطئته علي سكان القاهرة ،وكان من أكثر الطواعين التي وقعت فيها أضرار بالسكان لذلك أطلق عليه تسمية الفناء العظيم. -بلغ عدد من خرج من الأموات من سائر أبواب القاهرة **12300نسمة** -ساءت الأوضاع الاقتصادية بسبب الطاعون وخلف أزمة اقتصادية حادة زادت من وقعته. --خسائر كبيرة في الثروة الحيوانية :وجد في نهر النيل والبرك إعداد كبيرة من الأسماك والتماسيح الموتى طافية ،فضلا عن مئات الحيوانات البرية في بساتين القاهرة من الدجاج والضباع والذئاب ...
841/م1437 هـ	-بلغ عدد الأموات **18 نسمة** ثم اخذ بالتزايد في كل يوم ،لاسيما الأطفال والإماء والعبيد. -تدهور الأوضاع الصحية والمعيشية في المدينة وسارت نحو الاسوء من يوم إلى أخر . -ازدادت أعداد الموتى فبلغ عدد من صلي عليه بمصلاه باب النصر في وسط القاهرة فقط في اليوم الواحد **400نسمة** وهي الواحد من 11 مصلاه بالقاهرة ،إذا كانت أعداد الوفيات متقاربة في جميع مصليات القاهرة في اليوم الواحد أي يكون العدد التقريبي لعدد الأموات في القاهرة في اليوم الواحد :**400×11=4400 ميتا في اليوم الواحد.**
848/م1444 هـ	ظهر الطاعون بمصر ، واخذ بالانتشار حتى دخل القاهرة في أول شهر محرم ، وكان في تزايد يومي حتى بلغ شدته في صفر ، وبلغ عدد ضحاياه ما يزيد على(**500**) **نسمة** في اليوم. - أطلق عليه بالطاعون العظيم .
852/م1448 هـ	تفشى الطاعون بمصر ، وبلغ عدد ضحاياه أكثر من (**1000**) **نسمة** تقريبا ، وممن توفي فيه محمد وأحمد ولدي السلطان الظاهر جقمق(842-857هـ/1438-1453م) وشقيقتهما التساعية ..، ومجموعة من الأعيان مثل بختك الناصري أحد أمراء العشرات.....

الملحـق رقـم (7): جـدول يوضـح أهـم العملات المتـداولة في عصـر أهـم السلاطيـن المماليـك البحرية والبرجية

أ/المماليك البحرية[1]

السلطان	نوع العملة وعددها	الوجه	الظهر
الظاهر بيبرس الأول:658هـ/676هـ 1172م/1288م	فضية،عددها أربع طرز	المؤمنين الإمام المستنصر بالله أبو القسم احمد بن الإمام الظاهر أمير	**السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس قسيم أمير المؤمنين**
	النحاسية	لا اله إلا الله محمد رسول الله	**السلطان الصالحي الملك الظاهر ركن الدين(الدين بيبرس قسم أمير المؤمنين)**
المنصور سيف الدين قلاوون	فضية،تضم عشرة قطع فضية من فئة الدرهم،وهي خمسة طرز	لا اله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى	**المؤمنين السلطان الملك سيف المنصور الدنيا والدين قلاوون الصالحي قسم امير**

678هـ/679هـ/1279م/1290م.

[1]-تم انجاز هذا الجدول بالاعتماد على كتاب

عبد الرحمن بن إبراهيم بن صالح إبراهيم،المسكوكات الأيوبية والمملوكية ،ط1،1425هـ-2005م،المملكة العربية السعودية وزارة التربية والتعليم ،صفحات متعددة.

الناصر ناصر الدين حسن بن محمد بن قلاوون: 748هـ-1347م/885هـ1360م	فضية	ضرب لا اله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق	السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين حسن بن محمد
	نحاسية	لا اله إلا الله محمد رسول الله	**الناصر ناصر الدنيا والدين محمد الملك.**
الصالح صلاح الدين حاجي الثاني 783هـ-792هـ/1381م-1389م	فضية فيها طرزان	الطراز الأول:لا اله إلا الله محمد رسول اله أرسل بالهدى ودين الحق الطراز الثاني: لا اله إلا الله محمد رسول اله أرسل بالهدى ودين الحق	**السلطان الملك المنصور نار الدنيا والدين حاجي بن الملك.** **الطراز الثاني:السلطان الملك ..الدنيا والدين حاجي بن الملك الأشرف.**

ب/المماليك البرجية: [1]

السلطان	نوع العملة وعددها	شكلها من الوجه	شكلها من الظهر
الظاهر برقوق 784هـ-801هـ/1382م-1399م	**ذهبية** ،في فترة حكمه اصدر ثلاثة طرز منها.كل واحدة ضربت في دار سكة.	ضرب إسكندرية ،سنة سبع وثمانين وسبعمايه السلطان الملك سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق خلد الله سلطانه .	**وما النصر إلا من عند الله لا اله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليضره على الدين كله.**
		ضرب بالقاهرة سنة أربع وثمانين وسبعمايه السلطان الملك سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق خلد الله سلطانه .	**وما النصر إلا من عند الله لا اله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليضره على الدين كله.**

[1] – تم انجاز هذا الجدول بالاعتماد على:

النبراوي، المرجع السابق، صفحات متعددة.

	الطراز الثاني :ضرب القاهرة سنة خمسة وثمانين سبعمايه السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق خلد الله سلطانه.	**وما النصر إلا من عند الله لا اله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليضره على الدين كله.**
	الطراز الثالث:ضرب إسكندرية سنة أربعة وتسعين وسبعماية السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق خلد الله سلطانه.	**وما النصر إلا من عند الله لا اله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليضره على الدين كله.**
	ضرب القاهرة سنة اثنين وتسعين وسبعماية السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق خلد الله سلطانه.	**وما النصر إلا من عند الله لا اله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليضره على الدين كله.**
الفضة: ضربت سنة789هـ ونشر طراز واحد منها.	هامش:كتاباته تسير مع اتجاه عقارب الساعة ونصها:السلطان،الملك الظاهر ضرب القاهرة سنة تسع وثمانين وسبعمايه. مركز:عبارة عن دائرة بداخلها سطران متوازيان نصها برقوق عز نصره.	**وما النصر إلا من عند الله لا اله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليضره على الدين كله.**
نحاسية: ضرب ثلاثة منها في دور سكة مختلف، أولها كان سنة	السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق.	**ضرب إسكندرية سنة أربع وثمانين.**

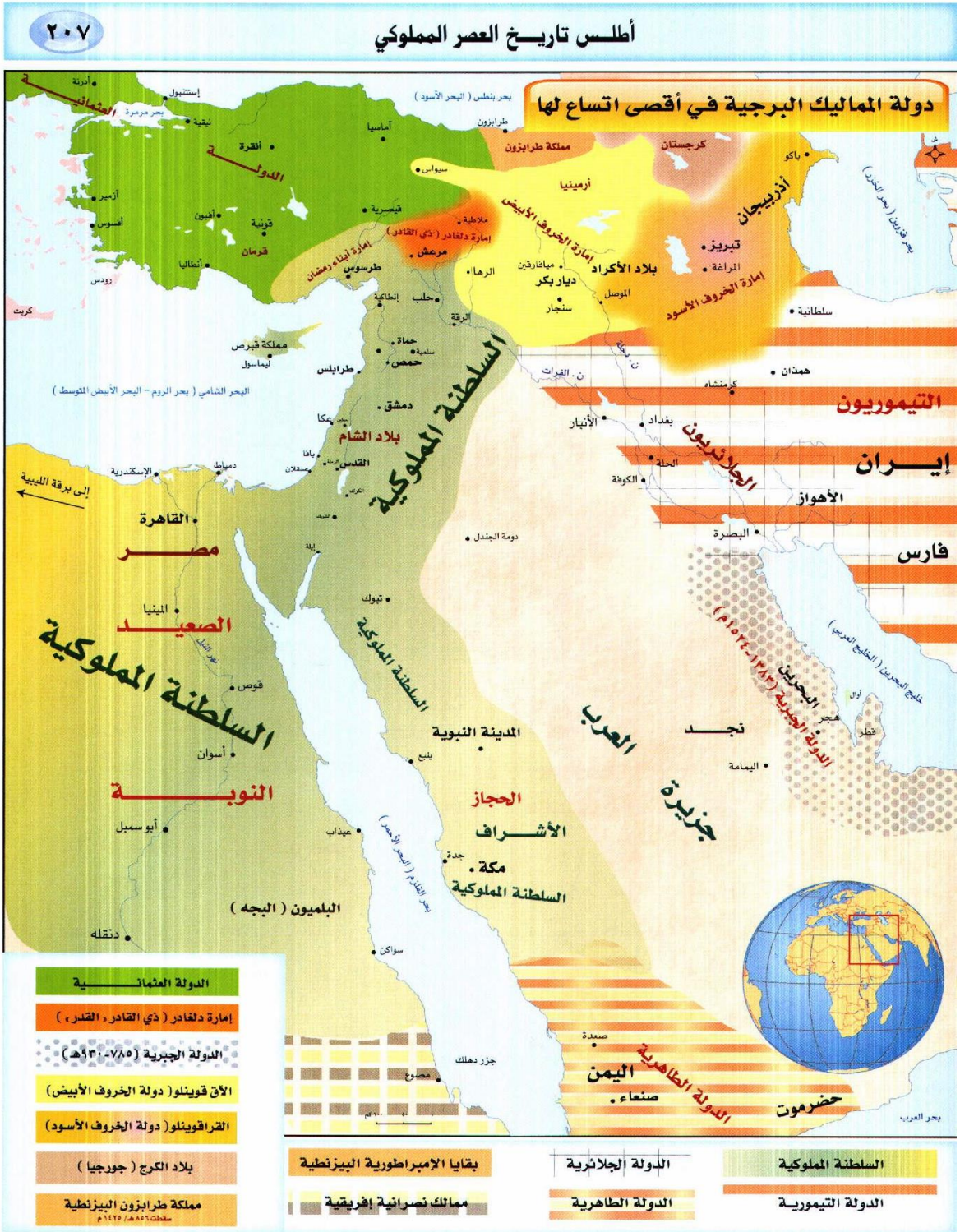
	784هـ .	برقوق السلطان الملك الظاهر عز نصره.	**ضرب إسكندرية سنة أربع.**
		السلطان الملك الظاهر سعيد عز نصره برقوق خلد ملكه.	**ضرب القاهرة سنة أربع وثمانين وسبعمايه.**
		الطراز الثاني:السلطان الملك الظاهر الدين أبو سعيد برقوق سيف الدنيا وعز نصره.	**ضرب بالقاهرة خمس وثمانين وسبعمايه.**
		السلطان برقوق الملك الظاهر.	**ضرب بالإسكندرية.**
		السلطان الملك برقوق الظاهر عز نصره.	**ضرب إسكندرية.**
		الطراز الثالث:السلطان الملك الظاهر.	**ضرب إسكندرية.**
		السلطان الملك الظاهر سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق عز نصره.	**ضرب بالقاهرة اثني تسعين سبعماية.**
		السلطان الملك سيف الدنيا والدين أبو سعيد برقوق.	**ضرب بالقاهرة المحروسة.**
الناصر فرج بن برقوق 801هـ-815هـ	**الذهبية** :ضرب العملة الذهبية في دور السكة الإسكندرية والقاهرة كما انه ضربها على أسس منها الأولى النقود الذهبية التي يبلغ وزن	ضرب بثغر الإسكندرية السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن الشهيد الملك الظاهر برقوق عشر وثمان ماية.	**وما النصر إلا من عند الله ،لا اله إلا الله محمد رسول الله ،أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.**

القطعة أكثر من وزن المثقال وضرب منها خمسة طرز ،(نأخذ الطراز الأول من كل والخامس نموذجا) والثانية علي أساس وزن المثقال وهي المعروفة بالدنانير السالمية ضربت سنة 803هـ/1400م،أما الثالثة النقود الذهبية التي يزن الواحد منها وزن الدوكة البندقية (الدنانير السالمية)ضربت سنة 811هـ/1407م.	ضرب بالقاهرة سنة احد وثمان مايه السلطان الملك الناصر الدنيا والدين أبو السعادات فرد بن الشهيد برقوق خلد الله ملكه .	**وما النصر الا من عند الله ،لا اله الا الله محمد رسول الله ،أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.**
	ضرب بالقاهرة سنة عشر وثمان مايه السلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن الشهيد الملك برقوق	**وما النصر الا من عند الله ،لا اله الا الله محمد رسول الله ،أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.**
	النقود الذهبية المضروبة على أساس وزن المثقال (الدنانير السالمية).هامش:كتاباته الدائرية مع اتجاه الساعة :السلطان الملك الناصر بن الملك الظاهر ضرب القاهرة المحروسة أربعة و ثمان مايه . المركز:عبارة عن دائرتين متوازيتين متحديتي المركز يتوسط بالداخل اسم فرج. الطراز الخامس:هامش:تسير كتاباته مع عقارب الساعة ونصها:السلطان الملك الناصر بن الشهيد برقوق	**وما النصر إلا من عند الله ،لا اله إلا الله محمد رسول الله ،أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله.** الله **وما النصر إلا من عند الله لا اله إلا الله محمد رسول الله**

	ضرب بالقاهرة سنة خمس وثمان مايه مركز:عبارة عن دائرة بداخلها اسم فرج. النقود الذهبية التي يزن الواحد منها وزن الدوكة البندقية(الدنانير الناصرية):جاء نصها:فرج السلطان الملك الناصر بن برقوق. الطراز الأول فنصه جاء (...)أبو السعادا(ت) السلطان الملك الطراز الثاني:السلطان الملك الناصر فرج خلده الله ملكه الطراز الثالث:نصه جاء:الناصر ناصر الدنيا الظاهر بوسعيد الطراز الأول :جاء نصها :الملك الناصر أبو السعدات. الطراز الثاني:جاء نصه هامش:السلطان الملك الناصر بن الظاهر. المركز:عبارة عن دائرة يتوسطها اسم فرج.	**أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره** ..... **لا اله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ضرب بالقاهرة سنة عشرون وثمان ماية.** **لا اله إلا الله** **محمد رسول الله** **لا اله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدي سنة انتي عشر وثمان ماية.** **لا اله إلا الله محمد رسول الله.** **ضرب إسكندرية ثلاث** **ضرب إسكندرية سبع ثمان ماية**
الفضية:هناك ثلاثة منها . **النحاسية** :منها اثنان		

ذهبية منها طرازان.	الطراز الأول جاء نصه: بالقاهرة السلطان الملك اشرف أبو النصر برسباي عز نصره. الطراز الثاني جاء نصه:ضرب بالقاهرة السلطان الملك الاشرف أبو النصر برسباي عز نصره (عام) تسع وعشرين وثمانماية	**أرسله لا اله إلا الله محمد رسول الله بالهدى.** **الله وما النصر إلا من عند الله لا اله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره.**
الفضية	-يتوسطه معين صغير يتصل بالإطار عن طريق خط في كل جهة من الجهات الأربع ،وكتاباته تدور مع اتجاه عقرب الساعة ونصها:الاشرف أبو الملك النصر برسباي وبداخل المعين كلمة نصف.	**مثل الوجه**
النحاسية:	جاء نصها: الملك الاشرف أبو النصر برسباي.	**هامش:كتاباته دائرية تسير مع اتجاه عقرب الساعة ونصها بالقاهرة ثلاثين وثمانمايه.**

الملحق رقم (8): خريطة دولة المماليك البرجية في أقصي اتساعها[1]



[1]–المغلوث،المرجع السابق ، ص 208

قائمة الببليوغرافيا

-المصـــــادر:

1- ابن بطوطة (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله)،**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**،تح،العريان عبد المنعم،ج1،دار أحياء العلوم بيروت.د ت.

2- ابن مماتي،**قوانين الدواوين**،ط1،مكتبة مديولي القاهرة، 1991

3- المقريزي (تقي الدين أبي العباس احمد بن علي) ، **رسائل النقود الإسلامية (شذوذ العقود)**، دط، مطبعة الجوانب ،قسطنطينية،1298هـ-1881م .

4- المقريزي(تقي الدين أبي العباس احمد بن علي) ،تاريخ اليهود وأثارهم في مصر ،تح،ديب عبد المجيد ،د ط، دار الفضيلة،د ت.

5.....،المواعظ **والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)**،ج1،مكتبة مديولي القاهرة،د ت.

6- .....،**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)**،**ج2**،دار صار بيروت،د ت.

7- .....،**إغاثة الأمة بكشف الغمة** ،تح الدكتور فرحات حلمي ،ط1-عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية. ،1427هـ- 2007م،

8- يوسف بن ثغري البردي الاتباكي جمال الدين أبو المحاسن ،**المنهل الصافي والمستوفى في بعد الوافي**،تق،دكتور عاشور سعيد عبد الفتاح ،د ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب، .1984

قائمــة المراجــع:

1-الاسكندري عمر،المجيرا،ج،سقدج،**تاريخ مصر إلى الفتح العثماني(مع نبذة في تاريخ أخبار الأمم التى** ارتبطت بمصر إلى ذلك العهد)،ط4،مطبعة المعارف ،1338هـ-1920م.

2-الأنصاري ناصر،المجمل في تاريخ مصر –**النظم السياسية والإدارية**،ط1،دار الشروق 1413هـ-1993م.

3-الانصاري ناصر،**تاريخ أنظمة الشرطة في مصر**،ط1،دار الشروق،1410هـ-1990م.

4-بحر مجدي عبد الرشيد،**القرية المصرية في عصر السلاطين المماليك** ،د ط،الهيئة المصرية العامة ،1999.

5-الحداد محمد حمزة إسماعيل،السلطان قلاوون (تاريخ أحوال مصر في عهده منشأته المعمارية)،ط2،مكتبة ديولي القاهرة ،1418هـ-1998م.

5-حسن البهجي إيناس،**دولة المماليك البداية والنهاية** ،د ط، دار التعليم الجامعي،2015.

6-حميدي لهبي فتحي سالم،**جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في العصر المملوكي**،ط1،2014.

7-السير وليم موير،**دولة المماليك في مصر** ،**تر** عابدين سليم حسن محمود ،ط1،مكتبة مديولي ،القاهرة،1995م.

8-شاكر محمود،**التاريخ الإسلامي**،**العهد المملوكي**،ط1421،5هـ-2000م.

الشرماني عبد السلام ،**أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين ،جز4،751هـ-1000هـ/1350م-1591م**،ط1،1417هـ-1997م،

الصايغ خالد،**النقود الإسلامية**،د ط،المجمع الثقافي أبو ظبي،.2002

9-عاشور سعيد عبد الفتاح،**العصر المملوكي في مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك** ،د ط،دار النهضة العربية بيروت لبنان،د ت.

10-العبادي احمد مختار،**التاريخ الأيوبي والمملوكي**،د ط،مؤسسة الشباب الإسكندرية،د ت.

11-عبد الرزاق احمد،**المرأة في مصر المملوكية** ،د ط،الهيئة العامة للكتاب،.1999

12-عبد العليم فهمي ،**العمارة الإسلامية في عصر المماليك الجراكسة عصر السلطان المؤيد** ،د ط،شيخ المجلس الاعلي للآثار وزارة الثقافة،د ت.

13-علي السيد علي،**بحوث في التاريخ من العصر المملوكي**،ط1،المجلس الاعلي للثقافة القاهرة ،د ت.

14-عوض الله محمد، **أسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية عصر المماليك** ،دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة الجمهورية مصر العربية ،20014

15-قاسم عبده قاسم ،**عصر السلاطين المماليك** ،ط1،دار الشروق،القاهرة،1994م.

16-قاسم عبده قاسم،علي السيد علي،**الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري**، د ط عين الدراسات والبحوث الإنسانية، د ت.

17-قملة أنور ،**المماليك في مصر**،ط1،مكتبة مديولي القاهرة ،1418هـ-1995م.

18-ماجد عبد المنعم،**طومان باي آخر السلا طين المماليك في مصر،دراسة الأسباب التي أنهت حكم دولة سلاطين المماليك في مصر**، د ط ،مكتبة الانجلو المصرية،1978.

19-محمد احمد محمد،**الغزو التيموري لبلاد الشام وأثاره 803هـ-1400/804-1401**، دط،دار لهداية للطباعة والنشر والتوزيع ،د ت.

20-محمود مصطفي نادية،**العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية ،642هـ-923هـ/1258م-1517م**-، ط1،المهد العالي للفكر الإسلامي القاهرة ،1417هـ-1996م.

21-النبراوي محمد رأفت،**السكة الإسلامية في مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة** ،ط1،مركز الحضارة العربية والنشر،د ت.

22-نقولا زيادة،**قمم عن الفكر العربي الإسلامي**، د ط ،الأهلية للنشر والتوزيع بيروت،1987.

الرسائـــل الجامعيـة:

1-أبو هويشل محمد عطية،**الأحوال الصحية والطبية في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي 648هـ-923هـ/1250م-1517م**،إشراف الأستاذ الدكتور،مصطفي شاهين رياض،رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي ،الجامعة الإسلامية غزة ،1433هـ-2012م.

2-بنت سعيد الحربي أماني،**مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين،13م/14م**،إشراف ا،د،بنت احمد الشافعي لمياء ،رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،قسم الدراسات العليا التاريخية،جامعة أم القرى،1436هـ-2015م.

3-بنت سعيد عبد القادر باحويرث سماح ،**الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر السلاطين المماليك 648هـ-923هـ/1350م-1517م**،دراسة تاريخية حضارية ،إشراف بن سعيد محمد عبد الله ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ،جامعة أم القرى ،1431هـ/2010م.

4-الجزار هاني فخري عطية،**النظام العسكري في دولة المماليك 648هـ-923هـ/1258-1517م**،إشراف الأستاذ الدكتور،مصطفي شاهين رياض،رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة،1428هـ-2007م.

5-الرواشدة محمود سليمان آمنة،**حيوات المرأة في العصر المملوكي** ،رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ،جامعة اليرموك،.1997

6-صالح ألغامدي احمد،**الآراء الاقتصادية للمقريزي(دراسة مقارنة)**،تحت إشراف الثمالي عبد الله مصلح مشرف شرعيا ،واحمد الدنيا شوقي مشرفا اقتصاديا،كلية الشريعة والدراسات العليا الشرعية شعبة الاقتصاد الإسلامي،جامعة أم القرى،1413هـ.

7-عواد عبد الكريم عرار شفيق،**سكان فلسطين في العهد المملوكي**،إشراف الدكتور يوسف محسن،قدمت هذه الرسالة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التاريخ العربي الإسلامي ،كلية الدراسات العليا ،جامعة بيرزيت،فلسطين،2003م-2004م.

8-قرحيلي نبيل جميل،**الاحتفالات في عصر المماليك 1250م-1517م**،رسالة لنيل درجة الماجستير ،في تاريخ العرب والإسلام ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة دمشق،2010م.

9-محمود احمد الزعبي فايزة،**مراسيم الزواج في مصر وبلاد الشام (من العصر الفاطمي حتى نهاية عصر دولة المماليك)**،رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،كلية الآداب،جامعة اليرموك،2003.

المجالات والمقـــالات:

1- بخيت علي، **المماليك الجراكسة في مواجهة الحصار الاقتصادي الصليبي** ،العدد 13،المجلد 7،مجلة كلية العلوم الإنسانية،.2013

2-بني حمد عبد الله ،**العوامل المؤثرة في تذبذب أسعار المواد الغذائية في بلاد الشام خلال العصرين المملوكي الأول648هـ-784هـ/ 1250هـ-1381م ،والثاني 784هـ-922هـ/1381م-1517م**،المنارة،المجلد 14،العدد 2،2008،تاريخ التسليم 2007/01/25م،تاريخ القبول للنشر 2007/08/02م.

3-سالم حمدي فتحي،**وباء الطاعون وأثره على مدينة القاهرة في العصر المملوكي** ،مجلة الأبحاث كلية التربية الأساسية ،المجلد 12،العدد 4،،قسم الحضارة الإسلامية ،كلية العلوم الإسلامية ،جامعة الموصل ،2013م

4-سامي مخيف أمال، **اثر المرأة في المجتمع المملوكي في مصر** ،جامعة القادسة ،كلية التربية قسم التاريخ،2018م.

5-سعيد أسامة،**استقراء الأفكار النقدية عند المقريزي ،دراسة تحليلية لكتاب النقود الإسلامية المسمي شذوذ العقود في ذكر النقود**،مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات التعليمية ،سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية ،مج37،العدد2،2015،تاريخ الإيداع 2014/11/19،قبل للنشر في 2015./03/12

6-عاطف صلاعين مروان، **السلع التجارية في الأسواق المصرية في دولة المماليك البحرية** ،المجلة المارديبية للتاريخ والآثار ،مجلد 6،العدد 2،2012.

عماد ديب:**فئات المجتمع المصري في العصر المملوكي684هـ-1250م/923هـ-1517م** ،مجلة جامعة البعث ،مج38،العدد52،كلية الآداب، جامعة البعث،.2016

7-فاضل كاظم رشا،**من مظاهر الحياة الاجتماعية لمصر في عصر المماليك**،العدد 19،كلية الآداب ،مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية ،جامعة الكوفة،2016م.

8-كاظم منشد النصر الله جواد،**دور النقود في الأزمات الاقتصادية في مصر في العصور الإسلامية** ،مجلة كلية التربية الأساسية ،جامعة بابل ،عدد خاص بالمؤتمر العلمي السنوي الثالث لكلية التربية الإسلامية 2009/56،العدد 2، آذار .2010

9-مزيان مهدي إسراء،**نشاط ومعوقات التجارة في عصر المماليك 698هـ-923هـ/1250م-1517م**،مجلة واسطة للعلوم الإنسانية ،العدد 12،جامعة واسطة كلية التربية.

القواميس والمعاجم:

1-الزيدي مفيدي،**موسوعة التاريخ الإسلامي**،**العصر المملوكي**،د ط،دار أسامة للنشر والتوزيع ،الأردن عمان ،2009.

2-كحالة عمر ،**أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**،**ج2**،مؤسسة الرسالة،د ت.

3-المغلوث عبد الله بن احمد،**أطلس تاريخ العصر المملوكي**،ط1،العبيكان،141هـ-2012م.

الفهـــرس

الفهـــــــرس:

كلمــة الشكر	
الإهــداء	
المختصــرات	
المقدمــة	
المدخــل	
تعريف الكــاتب	09
تعريف الكتــاب	13
لمحة عن عصر المماليـك	16
أهــم الأزمــات	23
الفصــل الأول:الأوضــاع الاقتصادية في مصر المملوكية	27
1/الزراعــة	27
2/الصناعــة	33

3/ التجــارة	35
4/التدهور الاقتصادي:	39
الفصل الثاني: الوضع الاجتماعي والانعكاس الاقتصادي عليه	49
1/:طبقات المجتمع	50

2/ الأسـرة المملوكيـة.	55
3/الاحتفـالات	59
4/الانعكاس الاقتصادي على الوضع الاجتماعي.	65
الخـاتمة.	72
الملاحـق.	76
قائمـة المصادر والمراجع.	94
فهرس الموضـوعات.	102